« عالم قريش يملأ طباق الأرض علما »

تاريخ الامام الشافعى

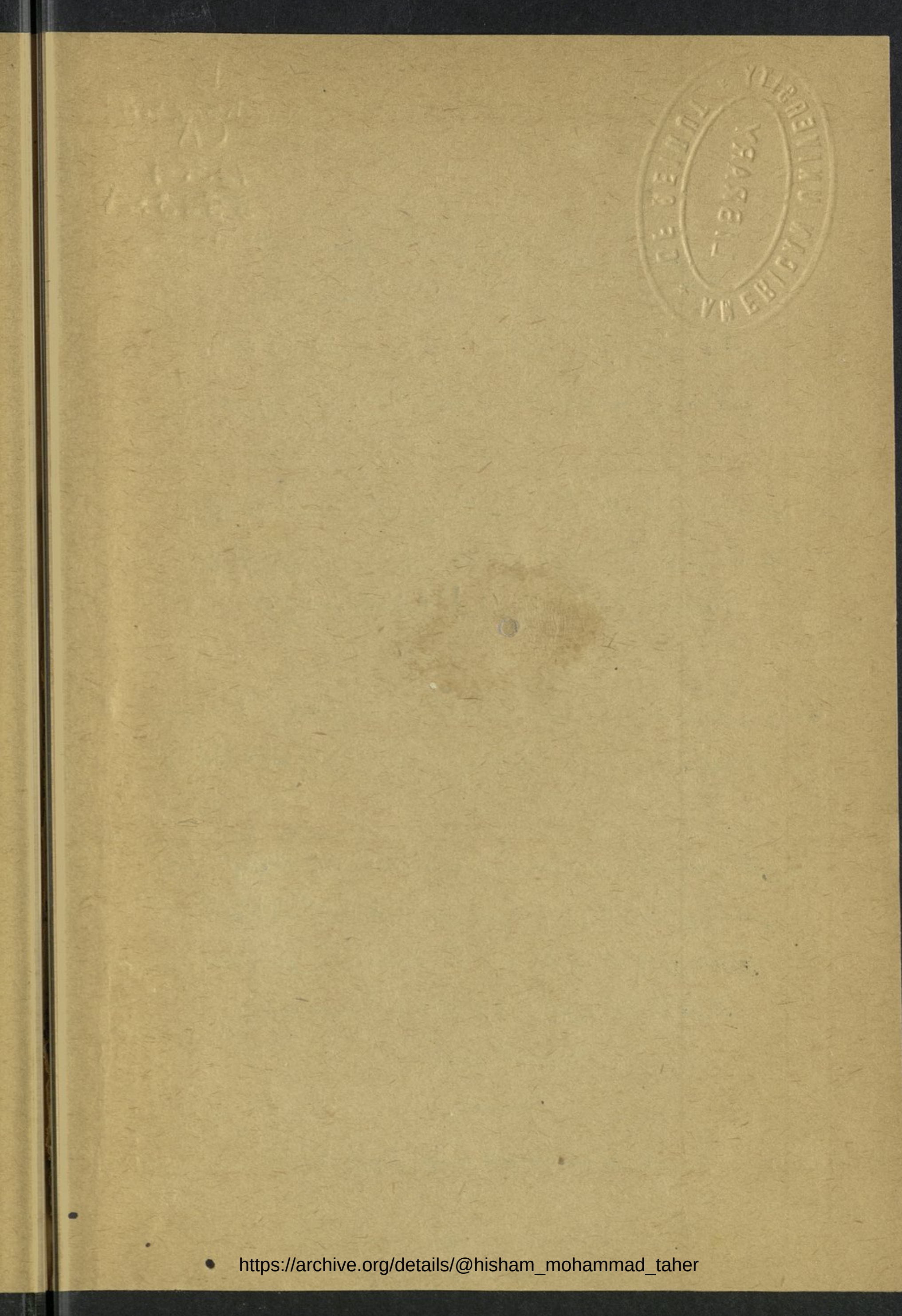
بقلمه وما كتبه عن نفسه وتشمل سبب حضوره لمصر
ورحلته إلى المدينة ومكة والكوفة والعراق وما لاقاه

رواية عن أبى بكر محمد بن المنذر عن أبى محمد الربيع المرادى
عن الشافعى نفسه وفى أولها سماع للعلامة الجوينى وبآخرها
سماع أيضاً للعلامة الجوانى النسابه نقيب النقباء

ويليه تاريخ شامل للامام الشافعى أيضا وذكر مناقبه وكراماته
ومذهبيه القديم والجديد وسبب مجيئه لمصر وما حدث فى وفاته بها

من تأليف العلامة العالم صاحب الدرجتين ذى السماحة والفضيلة
الأستاذ الكبير الحبر البحر السيد حسين محمد الرفاعى الشافعى
الحنفى من كبار علماء الأزهر والمشرف العام على معارض
دار الكتب المصرية بالقاهرة ورئيس رابطة الأشراف
الكبرى العالمية

[illegible] ٥٧٥٣٥



أدلة السماع

هذا التاريخ عن أبى بكر محمد بن المنذر عن الربيع بن سليمان رحمهما الله سمع هذه بأسرها على شيخنا الفقيه الإمام العالم العامل الشيخ شيخ الشيوخ تاج الدين أبى محمد عبد الله بن الشيخ الإمام شيخ الشيوخ عماد الدين أبى الفتح عمر بن على بن محمد حمويه أدام الله سعادته بسنده المذكور أوله صاحب الجزء وكاتبه الشيخ الأجل الزاهد تقى الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الأصبهانى نفعه الله ونفع به وعز الدين أبو الزهر الربيع بن عبد الرحمن بن أبى الزهر السلمى وأبو الفتح عمر بن يعقوب بن عثمان بقراءة عمه عبد العزيز بن عثمان بن أبى طاهر الأربلى عفا الله عنه وهذا خطه وذلك فى يوم الأحد سادس ذى القعدة سنة ثلاثين وستمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

صحيح ذلك وأجزت للذين سمعوا روايته ما يصح عندهم من رواياتى على الوجه المعتبر عند أهل النقل . وكتب عبد الله بن عمر بن على بن محمد ابن حمويه الجوينى ويسمى بعبد السلام بخطه فى تاريخه حامدا ومصليا مستغفرا .

مقـــــدمة

الحمد لله الذى اختار من عباده أئمة كانوا سببا فى حفظ شريعة الرسول والصلاة والسلام على سيـدنا محمد أصل النور والذى أنزل عليه فى كتابه العزيز « بالمؤمنين رؤف رحيم » وبعد فلما كان الامام الشافعى رضى الله عنه شمسا مشرقة فى رابعة النهار وكان من توفيق الله ان عثرت على تاريخ الامام بقلمه نفسه مسـتندا ذلك الى السماع ممن يوثق بدرايتهم وبهم فظهرت تلك الدرة اليتيمة ظهور البدر فى الليلة الظلماء والحمد لله على ذلك أولا وآخراً

أول رجب سنة ١٣٦٦ هجرية

حسين محمد الرفاعى
الشافعى الحنفى من علماء الأزهر
والموظف بدار الـكتب المصرية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل . أخبرنا الشيخ الإمام العلامة علاء الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن داود الشافعي بن العطار قال أنبأ الشيخ الإمام المحدث ناصر الدين أبو نصر محمد بن عمر بشاه ابن أبي بكر الهمذاني قراءة عليه وأنا أسمع سنة تسع وستين وستمائة أنبأ الشيخ الإمام تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الجويني قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا الشريف النقيب محمد بن أسعد بن على بن الحسين الجواني النسابة قراءة عليه ونحن نسمع سنة أربع وثمانين وخمسمائة بدمشق بدويرة السميساطي قال أخبرنا الفقيه أبو القاسم عبد العزيز ابن يوسف المقرىء بالجامع العتيق بمصر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال أنبأ المقرىء أبو محمد عبد الله المعروف بابن الحبشي سنة ثلاث وخمسمائة قال أخبرني الشريف القاضي المقرىء الموسوي أبو اسماعيل موسى بن الحسن بن اسماعيل بن على الحسيني في سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أنبأ الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفارمي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربعمائة قال أنبأ أبو القاسم يحيي بن عبد الله الرجل الصالح قراءة عليه وأنا أسمع ويحيي بن موسى المعدل بمصر قالا حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المقرىء الكواز قال حدثنا أبو الفرج عبد الرازق بن حميد بن البطين قال ثنا أبو بكر محمد بن المنذر قال حدثني الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول :

« فارقت مكة وأنا ابن أربع عشر سنة لا ثبات بعارضي من الابطح إلى ذي طوى وعلى بردتان يمانيتان (أو قال) أسحميتان فرأيت ركبا منيخين

فسلمت عليهم فردوا على السلام فوثب إلى شيخ كان فيهم فقال لى سألتك بمن أقسمت علينا بسلامك لما حضرت طعامنا : قال الشافعى رضى الله عنه : وما كنت علمت أنهم أحضروا طعاما فأجبت مسرعا غير محتشم فرأيت القوم بدأوا يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فأخذت الطعام كأخذهم كى لا يستبشع عليهم مأكلى والشيخ ينظر إلى ساعة بعد ساعة ثم أخذت السقاء فشربت ريا وحمدت الله تعالى وأثنيت عليه فأقبل على الشيخ وقال : مكى أنت قلت . مكى : قال قرشى أنت : قلت قرشى . ثم أقبلت عليه وقلت له ياعم بم استدللت على . قال : أما فى البلد فبالشبه وأما فى النسبة فبالطعام لأن من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه وذلك فى قريش خصوصاً . قال الشافعى رضى الله عنه فقلت من أين أنت : قال . من يثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم : فقلت له : من العالم بها والمتكلم فى نص كتاب الله عز وجل والمفتى بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : سيد بنى أصبح مالك ابن أنس رضى الله عنه .

قال الشافعى فقلت : وأشوقاه إلى مالك . فقال لى مجيبا : قد بل الله شوقك . أما ترى إلى البعير الأورق . قلت : أجل . قال : هو أحسن جمالنا قيادا وأسلسها مشيا ونحن ثمانى نفر ولك مناحسن الصحبة حتى تصل إلى مالك .

قال الشافعى : فقلت متى ظعنكم . قالوا : فى وقتنا هذا . فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها إلى بعض وأركبونى البعير الذى كانوا وعدونى بركوبه .

قال الشافعى رضى الله عنه . فعلوت على ظهره وأخذ القوم فى السير وأخذت أنا فى الدرس . نختمت من مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة ودخلت المدينة فى اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنوت من القبر فسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس رضى

الله عنه مؤتزرا ببردة متشحا بأخرى وهو يقول : حدثنى نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر ويضرب بيده إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الشافعى رضى الله عنه : هبته هيبة عظيمة وجلست حيث انتهى بى المجلس فأخذت عوداً من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثاً كتبته بريقى على يدى ومالك ينظر إلى من حيث لا أعلم حتى انفض المجلس وجلس مالك ينتظر العشاء المغرب ولم يرنى انصرفت فيمن انصرف فأشار إلى فدنوت منه فنظر إلى ساعة ثم قال لى : أحرمى أنت . قلت : حرمى . قال أمكى أنت . قلت : مكى . قال : أقرشى أنت . قلت قرشى . قال : كملت صفاتك ولم تكون سىء الأدب . قلت : وما الذى رأيت من سوء أدبى . قال : رأيتك وأنا أملى ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم وأنت تلعب بريقك على يدك . فقلت له : عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول . فجذب مالك يدى إليه وقال لى : ما أرى عليها شيئاً . فقلت : إن الريق لا يثبت على اليد ولكن قد وعيت جميع ما حدثت به من وقت جلست إلى حين قطعت . فعجب مالك من ذلك فقال : أعده على ولو حديثا واحداً .

قال الشافعى رضى الله عنه : فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدى إلى القبر كإشارته عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثاً حدث بها من وقت جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص وصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال : خذ بيد سيدك إليك . وسألنى النهوض معه .

قال الشافعى رضى الله عنه . فقمت غير ممتنع إلى ما دعى من كرمه فلما أتيت الدار أدخلنى الغلام إلى مخدع فى الدار وقال لى : القبلة من البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا الخلاء من الدار وأشار إليه .

قال الشافعى : فما لبث مالك غير بعيد حتى أقبل هو والغلام حامل

طبقاً فوضعه من يده وسلم على مالك . ثم قال للعبـد : اغسل علينا . فوثب الغلام إلى الإناء . وأراد أن يغسل على أولا فصـاح عليـه مالك . وقال : الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف .

قال الشافعى رضى الله عنه فاستحسنت ذلك من مالك وسألته عن شرح ذلك فقال إنه يدعو النـاس إلى كرمه فحكمه أن يبتدىء بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه .

قال الشافعى . فكشف مالك الطبق وكان فيه صحفتان فى احداهما لبن وفى الأخرى تمر . فسمى وسميت . قال الشافعى رضى الله عنه فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام كفاية فقال لى : يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معـدم . فقلت لا عذر على من أحسن إنمـا العذر على من أساء .

قال الشافعى فأقبل مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنا عشـاء الآخرة . ثم قام عنى وقال : حكم المسافر أن يحل تعبه بالاضطجاع . فلما كان فى الثلث الأخير من الليل عند انفجار الفجر قرع مالك على الباب وأهرعت فقال لى : الصلاة يرحمك الله . فرأيتـه حاملا إناء فيـه ماء فتبشع على ذلك . فقال : لا يرعك ما رأيت منى فخدمة الضيف فرض .

قال الشافعى : فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع مالك رضى الله عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضاً من الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبـح الله إلى أن طلعت الشمس على رءوس الجبال كالعمائم على رءوس الرجال فصلى كل امرىء منا ما قسم له ثم جلس مالك فى مجلسه بالأمس وناولنى الموطأ أمليـه وأقرأه على الناس وهم يكتبونه .

قال الشافعى رضى الله عنـه فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره من

القراءة . فأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الانس الذى كان بيننا أينا الضيف. ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم زائرين نبيهم عليه الصلاة والسلام ويسمعون الموطأ .

قال الشافعى رضى الله عنه : فأمليت عليهم حفظا منهم عبد الله بن الحكم وأشهب بن القاسم (قال الربيع : وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد) ثم قدم بعد ذلك أهل العراق زائرين نبيهم صلى الله عليه وسلم .

قال الشافعى رضى الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيرا فسألته عن اسمه فأخبرنى وسألته عن بلده فقال لى : العراق .

قال الشافعى فقلت أى العراق . فقال : فى الكوفة . فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص كتاب الله عز وجل والمفتى بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : محمد بن الحسن وأبو يوسف صاحبا أبى حنيفة رحمه الله .

قال الشافعى رضى الله عنه فقلت : ومتى عزمتم تظعنون فقال لى غداة غد عند انفجار الفجر فعدت الى مالك فقلت له : قد خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود اليها أو أرحل فى طلب العلم فقال لى : العلم فائدة يرجع منها الى عائدة ألم تعلم بأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب .

قال الشافعى رضى الله عنه فلما أزمعت على السفر زودنى مالك بصاع من أقط وصاع من شعير وصاع من تمر وسقاء ماء فلما كان فى السحر وانفجر الفجر حمل بعض الأداوة وسار معى مشيعا إلى البقيع فصاح بعلو صوته من معه كرى راحلة إلى الكوفة فأقبلت عليه فقلت له لم تكترى ولا شىء معك ولا شىء معى . فقال لى : انصرفت البارحة عنك بعد صلاة العشاء الآخرة إذ قرع على قارع الباب فخرجت إليه فأصبت عبد الرحمن ابن القاسم فسألنى

قبول هديته فقبلتها فدفع إلى صرة فيها مائة مثقال وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى : فاكترى لى بأربعة دنانير ودفع إلى باقى الدنانير وودعنى وانصرف وسرت فى جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم اربع عشرة من المدينة فنزلت المسجد بعد صلاة العصر وصلينا العصر فائتا فبينما أنا كذلك إذ رأيت غلاما قد دخل المسجد فصلى العصر فما أحسن يصلى فقمت إليه ناصحا له ومشفقا فقلت له : أحسن صلاتك لا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار . فقال لى : أظن أنك من أهل الحجاز وفيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلى هذه الصلاة منذ خمس عشرة سنة بين يدى محمد بن الحسن وأبى يوسف فما عابا على صلاتى قط وخرج معجبا ينفض رداءه فى وجهى . فلقى للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فاستخبرهما ولا علم لى بهما . فقال : هل علمتما فى صلاتى من عيب . فقالا : اللهم لا . قال : ففى مسجدنا هذا من قد عاب صلاتى . فقالا له : اذهب فقل له : بم يدخل فى الصلاة قال الشافعى رضى الله عنه . فأتانى فقال لى : يامن عاب صلاتى بم تدخل فى الصلاة . قلت بفرضين وسنه فعاد إليهما فأعلمهما بالجواب . فعلما أنه جواب من نظر فى العلم . فقالا له : اذهب فقل له ما الفرضان وما السنه . فقلت : أما الفرض الأول فالنية والثانى تكبيرة الإحرام والسنة رفع اليدين . فأعلمهما بذلك . فدخلا إلى المسجد فلما نظرا إلى أظنهما ازدريانى . فجلسا ناحية وقال له إذهب إليه فقل له : أجب الشيخين.

قال الشافعى رضى الله عنه. فلما أتانى علمت أنى مسئول عن شىء من العلم فقلت : من حكم العلم أن يؤتى ولا يأتى وما علمت لى إليهما من حاجة فإن كان لهما حاجة فليأتيانى .

قال الشافعى رضى الله عنه : فقاما من مجلسهما إلى . فلما سلما على قمت إليهما قائما وأجلست كل واحد منهما فى مجلسه وأظهرت البشاشة لهما

وجلست بين أيديهما فأقبل على محمد بن الحسن وقال لى : أحرمى أنت. فقلت: نعم فقال : عربى أم مولى . فقلت : عربى فقال : من أى العرب . فقلت : من ولد المطلب . قال من ولد من . قلت : من ولد شافع . قال لى : أرأيت مالكا . قلت : من عنده أتيت . قال لى : نظرت فى الموطأ . قلت : أتيت على حفظه . فعظم ذلك عليه ودعى بدواة وبياض وكتب مسألة فى الطهارة ومسألة فى الصلاة ومسألة فى الزكاة ومسألة فى البيوع والقراض والرهان والحج والإيلاء ومن كل باب من الفقه مسألة وجعل بين كل مسألتين بياضا. ودفع إلى الدرج وقال أجب عن هذه المسائل من الموطأ .

قال الشافعى رضى الله عنه فأجبت بنص كتاب الله ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين حتى أجبت عن المسائل كلها ثم دفعت اليه الدرج فتأمله ونظر فيه وقال لعبده : خذ سيدك اليك . قال الشافعى رضى الله عنه ثم سألنى النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع وقد حملت بعض أوانى وحمل العبد بعض الأداة . فلما صرت إلى باب المسجد قال لى العبد : إن سيدى قد أمرنى أن لا تسير إلى المنزل إلا راكبا . قال الشافعى رضى الله عنه فقلت له قدم فقدم إلى بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسى بالحمار رثة فطاف بى أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا فراتيه ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت . أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون المقل ويمصون النوى . ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا فى بكائى فقال : لا يرعك يا أبا عبد الله ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال ومكسب ما يطالبنى الله فيها بفرض وإنى أخرج زكاتها فى كل عام فأسر بها الصديق وأكبت بها العدو .

قال الشافعى رضى الله عنه : فما بت حتى كسانى محمد بن الحسن خلعة بألف

درهم فقلبه ودخل إلى خزائنه فأخرج لى الكتاب الأوسط تأليف أبى حنيفة فنظرت فى أوله وفى آخره ثم ابتدأت الكتاب فى ليلتى أتحفظه فما أصبحت إلا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم شيئا من ذلك . وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب فى النوازل . فأنا ذات يوم قاعد على يمينه إذ سئل عن مسألة أجاب فيها تقليدا وقال هكذا قال أبو حنيفة وهم عليه فى الجواب فقلت لولا أنك قلت فيها بالتقليد لأحسنت أدب المجالسة ولكنك وهمت ولكن الجواب فى هذه المسألة من قول الرجل كذا وكذا تحتها المسألة الفلانية وفوقها المسألة الفلانية فى الكتاب الفلانى فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فأحضره فصفحه ونظر فيه فأصاب القول كما قلت فرجع عن جوابه إلى ما قلت ولم يخرج لى كتابا بعدها . وقال . لقد أنعمت النظر . قلت : أتيت على حفظ الكتاب وما علمت وما أجد أنه يسقط على منه حرف ولا سينة ولا ألف . قال الشافعى رضى الله عنه فاستأذنته فى الرحيل . قال : ما كنت لآذن لضيف لى أن يرحل عنى ولا أرحله ورغبنى وبذل لى مشاطرة نعمته فقلت : ما لذا قصدت ولا له أردت ولا رغبتى إلا السفر . قال : فأمر غلامه أن يأتى بكل ما فى خزانته من بيضاء وحمراء من الذهب والورق فدفع إلى ما كان فيها وهو ثلاثة ألف درهم . وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلد الأعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن إحدى وعشرين سنة ودخلت العراق فى أول خلافة هرون الرشيد رحمه الله فعند دخول الباب وتقدم رجلى للمشى تعلق بى غلام فلا طفنى الكلام وقال لى : ما اسمك فقلت : محمد فقال : ابن من : قلت ابن إدريس . قال من تكون . قلت شافعى . فقال لى مطلبى : فقلت أجل . فكتب ذلك فى ألواح كانت فى كمه وخلى سبيلى فآويت إلى بعض المساجد أفكر فى عاقبة ما فعل حتى إذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأذعر كل من فيه وأقبلوا يتأملون وجه رجل رجل حتى أتوا إلى فقال لهم لا بأس عليكم : هذا

الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا على وقالوا أجب أمير المؤمنين . قال الشافعى فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلام سنة فاستحسن الألفاظ واتساق الكلام وميز بصفاء ذهنه بين الخطأ والصواب ورد على الجواب ثم قال لى تزعم أنك من بنى هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل . فقال لى : فتقول . قلت : نعم .

قال أبن لى عن نسبك . قال الشافعى رضى الله عنه فانتسبت حتى ألحقت آدم عليه السلام بالطين . فقال لى الرشيد : ما تكون هذه الفصاحة ولاهذه البلاغة إلا فى رجل من ولد المطلب . هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وينفذ حكمك فيهم وحكمى على ما اشترط وجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمعت عليه الأمة فقلت لو سألتنى يا أمير المؤمنين أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا . قال فبكى الرشيد وقال لى . تقبل من عرض دنيانا شيئا . قلت . يكون معجلا . فأمر لى بألف دينار فما برحت من مقامى حتى قبضتها . ثم سألنى بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتى فلم تسع المروءة إذ كنت مسئولا أن لا أقاسمهم ما أنعم الله به على فخرج لى قسم كأقسامهم . وعدت إلى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فلما أصبحت تقدم غلام فصلى بنا صلاة الفجر فى جماعة وأجاد القراءة ولحقه سهو فى الصلاة فلم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعا وأعدنا . ثم قلت له :ائتنى ببياض أعمل لك فيه باب السهو فى الصلاة والدخول فيها والخروج منها فسارع إلى ذلك ففتح الله عز وجل قريحتى و كشف عن صدرى وألفت كتابا لما رأيت رغبته فى العلم من نص كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزءا يعرف بكتاب الزعفران وهو الذى وضعته

بالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين . وولانى الرشيد صدقات نجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز . فرأيت فتى فى قبة فلما أشرت إليه بالسلام أمر قائد القبة أن يقف وأشار إلى بالكلام فسألته عن « مالك » وعن الحجاز فقال لى : قد أربع وأخرف لمصيف ثم عاودته إلى السؤال فقال : أشرح لك أو اختصر فقلت فى الاختصار البلاغة . فقال : ثم صحة جسم وإن له ثلاثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود إليها إلى سنة فقد اختصرت لك خبره .

قال الشافعى فاشتهيت أن أراه فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره . قال الشافعى رضى الله عنه : فأتيت الزعفرانى . فقلت : ثم من المال ما يصلح للسفر . فقال إنك لتوحشنى خاصة والعراق عامة بظعنك عنه وجميع ما لى فيه فلك فقلت له فيم تعيش . قال : الجاه أوسع من المال . ثم نظر إلى وحكمنى فى ماله فأخذت على حسب الكفاية والنهاية . ومررت على ديار ربيعة ومضر فلما أتيت إلى حران دخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت إلى الحمام فلما سكبت على الماء رأيت شعر رأسى شعثا فقلت : أحيى سنتين فى سنة فدعوت « المزين » فلما بدأ فى حلق رأسى وأخذ القليل من شعرى ودخل قوم من أبناء البلد فدعوه إلى خدمتهم فسارع إلى خدمتهم وتركنى . فلما قضوا ما أرادوا منه عاد إلى ما أردته وخرجت من الحمام فدفعت إليه أكثر ما كانوا معى من الدنانير . وقلت له: خذ هذا وإذا وقف بك غريب فلا تحقره فنظر إلى متعجبا بما معه يرى الناس . فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبنى الناس على فعلى به وبذلى له . فأخذت أريهم قلة ما فعلت وأنه لو أمكن أكثر مما فعلت لسارعت إليه فبينما أنا كذلك فى الخطاب إذ خرج بعض من كان فى الحمام من النساء فقدمت له بغلة ليركبها . فسمع خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لى . أنت

الشافعى . فقلت : نعم . فمعه الركاب مما يلينى وقال : بحق سيدك الله لما ركبت ومضى بى الغلام مطرقا بين يدى حتى أتيت إلى منزل الفتى . ثم أتى وقد حصلت فى منزله فأظهر البشاشة . ثم دعا بالغسل فغسل علينا . ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى . فقال لى مالك : يا أبا عبد الله . فقلت : إن طعامك على حرام حتى أعرف من أين هذه المعرفة فقال : أنا ممن كنت سمعت منك الكتاب الذى وضعت ببغداد وأنت لى أستاذ .

قال الشافعى رضى الله عنه . فقلت : العلم بين أهل العقل رحم متصل فأكلت إذ لم يعرف الله تعالى إلا بينى وبين أبناء جنسى . وأقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث عرض من نفسه مكارم ثم قال لى: حول حران أربع ضياع ما بحران أحسن منها . أشهد الله أن أخذت المقام فإنها هدية منى إليك فقلت فبم تعيش . قال : فى صناديقى تلك وأشار إليها أربعون ألف درهم أتجر بها فيكون لك الضياع وأعيش أنا فى التجارة . فقلت : ليس إلى هذا قصدت ولا عن بلدى خرجت إلا بنية أن أتعوض علما يورث حسن الثناء فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة محمودة محببة محسود عليها بمثلها يغتبط . فقال لى : فالمال إذن من شأن المسافر .

قال الشافعى رضى الله عنه : فقبضت الأربعين ألفا وخرجت من مدينة حران وبين يدى أحمال الدنانير والدراهم . ثم تلقانى الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينه والأوزاعى فما زلت أجيز كل انسان منهم على قدر ما قسم له ومعرفته حتى دخلت مدينة « الرملة » وليس معى إلا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة فاستويت على كورها وقصدت « الحجاز » فما زلت من منهل إلى منهل حتى وصلت إلى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما صلاة العصر فأنخت راحلتى بازاء المسجد وصليت العصر قائما ورأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب

فيها بالحرير (« لا إله إلا الله محمد رسول الله » هرون الرشيد أمير المؤمنين)
قال الشافعي وحوله أربعمائة دفتر أو يزيدون فبينما كذلك إذ رأيت مالك بن
أنس قد دخل من باب النبي صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره في المسجد
وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا
وجلس على الكرسي فألقى مسألة في « جراح العمد » قال الشافعي رضى الله
عنه : فلما سمعت ذلك لم يسعني الصبر فقمت قائما في سور الحلقة ورأيته إنسانا
بقالا . فقلت له قل الجواب كذا و كذا . فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من
السؤال فأطرق عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه .
فقال لهم : أخطأتم وأصاب الرجل . ففرح الجاهل باصابته .

فلما ألقى السؤال الثاني أقبل على الجاهل يطلب مني الجواب فأقبلت عليه
وقلت له : الجواب كذا وكذا . فبادر بالجواب فلم يلتفت مالك اليه وأقبل
على أصحابه واستخبرهم عن الجواب فخالفوه في الجواب . فقال لهم : أخطأتم
وأصاب الرجل .

قال الشافعي رضى الله عنه . فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل : الجواب
كذا وكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك أيضا عنه . وأقبل على أصحابه
فخالفوه بالجواب فقال أخطأتم وأصاب الرجل . ادخل ليس ذلك موضعك .

قال الشافعي رضى الله عنه فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجثا بين يديه
فقال له مالك فراسة : قرأت الموطأ . قال : لا . قال : فنظرت في مسائل ابن
جريج . قال : لا . قال : فلقيت جعفر بن محمد الصادق . قال : لا . قال : هذا
العلم من أين . قال له : إلى جانبي غلام شاب يقول قل الجواب كذا وكذا
فكنت أقول . فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك . قال
فكبرت الحلقة عليه . فقال للجاهل : قم مر صاحبك بالدخول الينا فدخلت
فإذا أنا هو مالك بالموضع الذى كان الجاهل فيه جالساً بين يديه فتأملني

ساعة وقال لى : أنت الشافعى . فقلت : نعم . فضمنى إلى صدره ونزل عن كرسيه وقال : قم تمم هذا الباب الذى نحن فيه حتى انصرف إلى المنزل الذى لك المنسوب إلى .

قال الشافعى رضى الله عنه فألقيت أربعمائة مسألة فى « جراح العمد » فما أجابنى أحد بجواب واحتججت أن آتى بأربعمائة جواب . وقلت : الأول كذا وكذا والثانى كذا وكذا وسقط القرص وصلينا العشاء المغرب وضرب مالك بيده إلى . فلما دخلت المنزل رأيت بناءا غير البناء الأول فبكيت . فقال : مم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله خلة أن قد بعت الآخرة بالدنيا . قلت : هو والله ذاك . قال : طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر تجيئنى من أقاصى الدنيا وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويرد الصدقة وإن لى ثلاثمائة خلعة من دق خراسان وقباطى مصر وعندى عبيد مثلها ما لم تستكمل الحلم فهم هدية اليك وفى صناديقى تلك خمسة ألف ألف دينار أخرج زكاتها عن كل حول يحول عليها فلك نصفها هدية منى لك . فقلت إنك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع ما وعدتنى به إلا تحت خاتمى ليجرى ملكى عليه فإن حضرنى أجلى فهو لورثتى دونك وإن حضر أجلك كان لى دون ورثتك فتبسم فى وجهى وقال : أبيت إلا العلم . فقلت : لا يستعمل أحسن منه .

قال الشافعى رضى الله عنه . فما بت إلا وجميع ما وعدنى به تحت خاتمى . فلما كانت فى غداة غد صليت الفجر فى جماعة وانصرفت إلى المنزل أنا وهو وكل واحد منا يده فى يد صاحبه إذ رأيت كراعا على بابه من صهارى خراسان ويقال مصر لو قدم المصابيح إلى جلودهن لأوقدن . فقلت له : ما رأيت كراعاً أحسن من هذا . قال : هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله . فقلت له : دع لك منها دابة . فقال : أنا أستحى من الله أن أطأ قرية فيها نبى

الله صلى الله عليـه وسلم بحافر دابة . قال الشافعى رضى الله عنه : فعلمت أنه ورع مالك على حاله فأقمت عنده ثلاثا . ثم ارتحلت إلى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمـه وانفذت بريدا يعلم بخبرى فلما وصلت إلى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فالتقتنى فضمتنى إلى صـدرها وضمتنى عجوز كنت آلفها وأسميها « خالتى » وقالت :

ليست أمك اجتاحت المنـــايا كل فؤاد عليك أم

قال الشافعى رضى الله عنه وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول . قالت لى العجوز : إلى أين عزمت فقلت : إلى المنزل قالت لى : هيهـات . تخرج من مكة بالأمس فقيرا لامال لك وتعود إليها مثريا تفتخر على بنى عمك بذلك . فقلت ما أصنع قالت : اضرب « فازتك »[1] فى الأبطح وناد فى العرب تشبع الجائع وتحمل المنقطع وتكسو العـارى فتربح ثناء الدنيـا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت وسار بذلك الفعل الرحال على آباط الإبل وبلغ ذلك مالـكا فـكتب إلى يستحثنى على الفعل ويعدنى أنه يحمل إلى فى كل عام مثل ما صار إلى منه . وما دخلت إلى مكة وأنا أقدر على شىء مما جاء معى إلا بغلة وخلعة وخمسين ديناراً . فوقعت المقرعة من يدى فناولتنى إياها أمة على كتفهـا قربة فأخرجت مما معى أجزيها بخمسة دنانير فقالت لى العجوز : ما أنت صانع . فقلت . أجزيها على فعلها . فقالت : إدفع إليها جميع مامعك فدفعت إليها ودخلت مكة فبات تلك الليلة إلا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل إلى كل عام مثل ما كان دفع إلى قطيفا إحدى عشرة سنة . فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت إلى مصر فعوضنى عبد الله ابن الحـكم ما قام بالـكفاية . فهذا جميع مالقيت فى سفرى فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألنى المزنى إملاء ذلك بحضرته فما وجدنا المجلس فرغة فما وقع

---

(١) أى خيمتك

كتاب السفر أحد غيرى من أصحـابه لا حرملة ولا غيره . تمت رحلة إمام المسلمين محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه .

ولد الشافعى رضى الله عنه فى سنة خمسين ومائة وهى السنة التى توفى فيها جعفر بن محمد الصـادق عليه السلام . وتوفى رضى الله عنه فى سنة أربع ومائتين بمصر فى سلخ رجب وله أربع وخمسون سنة . وكان سبب موته ما جرى فى حقه رضى الله عنه من أبى الحياء فتيان بن أبى السمح بن أسامة ابن بكير مولى بنى عامر بن عدى بن نجيب وكان فقيها بمصر من أصحاب مالك وكان من أشعب الناس فى المناظرة وكان بينه وبين الشافعى رضى الله عنه مناظرة فى بيع الحر فى الدين وهو العبد المرهون فكان الشافعى رضى الله عنه يقول يباع ويقول فتيان لا يباع فقال فتيان للشافعى أن تثبت على فعل هذا فعل بك كيت وكيت . وكان الشافعى رضى الله عنه حليما حييا وكان فى فتيان عجلة فخاطب الشافعى بخطاب أغلظ فيه ثم افترقا .

وبلغ السرى بن الحـكم ما كان بينهما فبعث إلى الشافعى رضى الله عنه فقال : لتخبرنى بما جرى بينكما . فيقال : إن الشافعى أخبره . فبعث السرى إلى فتيان فضربه بالسوط . وقال محمد بن الحـكم : فرأيت فتيان والمنادى ينادى عليه هذا جزاء من سب رسول الله صلى الله عليه وسـلم وفتيان . يقول عائذ بالله من ذلك . ثم وثب أهل المسجد بالشافعى فدخل منزله فلم يخرج إلى أن مات . وقال السرى بن الحكم . لو شهد عندى رجل آخر مثل الشافعى على فتيان لضربت عنقه . وقال يونس بن سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : والله ماشهدت على فتيان قط ، ولقد سمعت منه مالو شهدت عليه لحل دمه . ومات فتيان بعد الشافعى بسنة فى سنة خمس ومائتين . وكان موته بعد الشافعى بسنتين لأن فتيان ولد فى سنة خمسين ومائة .

قال القضاعى : الشافعى مدفون فى مقابر قريش بمصر وحوله جماعة من

بنى زهرة بن أولاد عبد الرحمن بن عوف وقبره مشهور مجمع عليه وهو القبر البحرى أى الشمالى من القبور الثـلاثة التى يجمعها مقطبة واحدة غربى الخندق بينه وبين المشهدين فـكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن موسى الهاشمى استصحبه فصحبه . وكان العبـاس هذا خليفة لأبيه على مصر . ولم يزل الشافعى بمصر إلى أن ولى السرى بن الحـكم مصر واستقامت له وكان يكرم الشافعى ويقدمه ولا يؤثر عليه أحدا .

وكان الشافعى محببا إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه . وكان بمصر فتيان المقدم ذكره وهو من أصحاب مالك وفيه حدة وبطش . وكان يناظر الشافعى كثيرا وتجتمع الناس عليهما فتناظرا ذات يوم فى مسألة بيع الحر وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا ملك له غيره فأجاب الشـافعى بجواز بيعه على أحد القولين ومنع فتيان من ذلك لأنه يمضى عتقه وهو أحد أقوال الشافعى فظهر الشافعى عليه فى الحجاج فضاق فتيان بذلك ذرعا فشتم الشـافعى بشتم قبيح فلم يرد عليه الشافعى رضى الله عنه ومضى فى كلامه فى المسألة فرفع ذلك رافع إلى السرى فدعى بالشافعى وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى . وشهد الشهود على فتيان بذلك . فقال السرى . لو شهـد آخر مثل الشافعى على فتيان لضرب عنقه . ثم أمر بفتيـان فضرب بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه مناد ينادى هذا جزاء من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إن قوما تعصبوا لفتيان من سفهاء الناس فرصدوا حلقة الشافعى حتى خلت من أصحابه وبقى وحده فهجموا عليه وضربوه فحمل إلى منزله ولم يزل فيه عليلا حتى مات فى التاريخ المذكور رضى الله عنه وأرضاه آمين كتبه محمد بن أحمد بن محمد .

شاهدت فى المنقول ما صورته : سمع جميع هـذا الجزء المعروف برحلة الشـافعى المطابى رضى الله عنه وأرضاه على الشيخ الإمام العالم الـكامل

القاضى نقيب النقباء محمد بن أسعد بن على الحسينى الجوانى النسابة .

الى هنا انتهى ما كتبه الامام الشافعى عن نفسه مرفوعا ذلك الى الرواة الثقاة ويلى هذا التاريخ الذى اختاره الفقير حسين محمد الرفاعى من أوثق كتب التاريخ فصارت مجموعة بحمد الله وحسن توفيقه يهتدى بها الى سيرة ذلك الامام العظيم محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه وأرضاه .

الامام الشافعى رضى الله عنه

خدم الاسلام والمسلمين وأهم حياته فى خدمة القرآن والسنة حتى ظهر اسمه ولمع نجمه ومازال اسمه شمسا مشرقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فحياته كلها حافلة بالعظائم والمكارم واعلاء دين الله ورسوله أما أصله ومولده فاختلف الرواة فمنهم من قال إنه ولد فى غزة ومنهم من قال إنه ولد بعسقلان وكلاهما من أعمال فلسطين بالشام .

وقد ولد الشافعى فى سنة ١٥٠ من الهجرة النبوية وسنة ٧٦٧ ميلادية وقد ولد فى السنة التى مات فيها أبو حنيفة النعمان .

ولد من أبوين كريمين فأبوه مطابى ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جد واحد لأن هاشما جد النبى صلى الله عليه وسلم أخ المطلب جد الشافعى الأعلى فعلى هذا فهو الإمام محمد الشافعى بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع واليه ينسب بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى أما أمه فهى أزدية فى أرجح السريات وهى الرواية المشهورة المعزوة إلى الإمام نفسه .

وذكر بعض المؤرخين أن كنيتها أم حبيبة الأزدية وقال بعض المترجمين ان أم الشافعى هى فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن ابى طالب وقيل فاطمة بنت عبد الله المحصن بن الحسن المثنى بن الحسن بن

على بن أبى طالب ، أما والده فكان رجلا حجازيا فقيرا وأنه خرج مهاجراً من مكة إلى الشام وأقام بغزة وعسقلان ببلاد فلسطين ثم مات بعد ولادة الشافعى بقليل ولذلك كفلتـه أمه يتيمافقيراً غريبا ولم تزل ترعاه بحدبها حتى صار بين المسلمين اماما عظيما .

والمروى عن الشافعى رضى الله عنه أن أمه توجهت به إلى مكة وهو ابن سنتين من غزة أو عسقلان على اختلاف الرواة تريد بذلك أن ينشأ بين قومه من قريش ولتستعين على تربية هذا الطفل من أقاربه باعتبـاره مطلبيا ويظهر أن أمه كانت ترى أن ينشأ الشافعى على حب الاعتزاز على النفس والاعتزاز بالنسب والمشاعر القومية وفعلا نشأ الشافعى على الاعتزاز بالنسب فقد كان شديداً فى التشيع لآل البيت والتشيع لعلى بن أبى طالب وكان يقول على بن أبى طالب عمى وابن خالتى وقد قالوا له ان فيك بعض التشيع قال « وكيف قالوا » قيل « لأنك تظهر حب أهل محمد » فقـال ياقومى ألم يقل رسول الله صلى الله عليـه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين وله أبيات ومنها :

إن كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقـلانى أنى رافضه

ومع هذا فـكان لعظم أبا بكر وعمر وعثمان .

قيل حكى الخطيب فى تاريخ بغداد قال لمـا حملت أم الشافعى به رأت فى نومها كأن كوكب المشترى خرج من بطنها وارتفع فى الجو حتى انقض بمصر وسقطت منه أجزاء أصاب كل جزء منها بلداً فاضاء به فقامت السيدة مذعورة من نومها وفى الصباح قصت رؤياها على المعبرين فأخبروها بأنها ستلد ولداً يملأ طباق الأرض علما وفعلا كان ذلك فقد ولدت الامام الشافعى عالم الدنيا وصاحب الفضل على الاسلام والمسلمين ولما ترعرع الا مام الشافعى أرسلته أمه إلى الكتاب فى مكة فنبغ نبوغا ظاهراً حتى أن معلم الصبيان أمثاله وكل

إليه تعليم أمرهم فكان يعلمهم كما يعلمهم الأستاذ ولما بلغ الشافعى تسع سنين كان قد أتم حفظ القرآن الكريم حفظا جيداً .

فترك الكتاب ودخل المسجد الحرام يجالس العلماء ويحفظ الحديث وعلوم القرآن وكان لشدة فقره يجمع العظام ليكتب عليها مذكراته والدروس التى تلقاها عن أساتذته .

بل كان يذهب إلى دواوين الحكومة ويلتقط قصاصات القراريص ليكتب فيها أيضا وكان يقول الشافعى إن الفقر هو سبب الفلاح فى العلم (ما أفلح فى العلم إلا من طلبه فى القلة) وقد وصل الشافعى فى العلم إلى درجة لا يدانيه فيها أحد بفضل ما أفاضه الله عليه من الزكاء المفرط والحفظ الخارق للعادة .

وقد روى المؤرخون أن الإمام الشافعى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له النبى من أنت يا غلام فقال أنا من رهطك يارسول الله فقال ادنو منى فدنا منه فأخذ من ريقه وأمره على لسان الشافعى وفمه وشفتيه وقال له إمض بارك الله فيك فقام الشافعى من نومه فرحاً مسروراً وهذه نفحة نبوية وعناية من الرسول ظهر أثرها فقد ذكر المؤرخون أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان اذا رأى كتابا وقرأه مرة حفظه كله كما ذكروا أنه كان مرة بسوق بغداد وهناك دلال يعرض مخطوطاً للبيع فقال الشافعى له بكم تسمح فى بيع هذا الكتاب فقال الرجل أرضى فيه بعشرين ديناراً فتسلمه الشافعى من يده وقرأه كله مرة فحفظه وقال للدلال لا داعى لشرائه لأنى أحفظه فتعجب الدلال ولم يصدق الإمام بذلك فقال له الإمام اسمع على هذا الكتاب فقرأ عليه الإمام إلى نصف الكتاب ولم يغلط وبعد ذلك قال للدلال خذ عشرين ديناراً هدية وكتابك معك لتنتفع من ثمنه من غيرى فيا سبحان الله ما أعظم هذا الذكاء وأعظم هذا الكرم .

وتصور أن الإمام الشافعى لمـا بلغ الخامسة عشر من عمره كان قد أتم علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه واللغة والشعر والنثر والأدب وكثيرا من العلوم حتى أخذ عنه الأصمع شيخ الشعراء وكان يفتخر بأنه تلقى أشعار الهذليين على الشافعى وهو فى الخامسة عشرة .

ولما رأى العلماء شيوخ الإمام الشافعى كالإمام مسلم بن خالد الزنجى أن الإمام الشافعى وصل إلى درجة عظيمة فى العلوم أجازوه بالفتوى وأن يكون مفتيا فكان يتصدر على كرسى عال داخل الحرم للتدريس وهو فى الخامسة عشرة من العمر وحلقته أكبر الحلقات تزاحمـا وذلك من غزارة علمه وعلو كعبه .

وكان الشافعى رضى الله عنه جميل الصوت فى قراءة القرآن حتى أن العلماء فى مكة إذا أرادوا أن يتذكروا خشية الله ويتدبروا معانى القرآن قالوا هيا بنا إلى ذلك الصبى المطلبى ليسمعنا القرآن فيبكيا فإذا ما تلى عليهم من آيات الله بكوا فيمسك الشافعى عن القراءة إشفاقا عليهم وكان مع صغر سنه يتلو القرآن تلوة الفـاهم لمعناه الواقف على أسراره وأحكامه وذلك من فضل الله على الإمام الشافعى رضى الله عنه لأن صبياً فى الخامسة عشر من عمره يكون حائزا لمختلف العلوم والمعارف عن رجل بلغ الستين من العمر ولولا الشافعى ما عرفنا دين الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلم فإنه هو والأئمة مالكى وأبى حنيفة وابن حنبل رضى الله عنهم قد وهبوا أنفسهم لخدمة الشريعة وحفظها وتفسير الحديث والقرآن وإيجاد التشريع الإسلامى والفقه للمسلمين ليتعبدوا على مذاهبهم وقد بارك الله فى مذاهبهم حتى صار معمولا بهـا إلى الآن فى مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد تفرد الأئمة الأربعة بكثرة مادون من المؤلفات فى تراجمه والصحيح أن ام الإمام الشافعى واسمها فاطمة دفنت بمكة كان الشافعى رضى الله عنه

أعرف ما يكون بتفسير القرآن والأحاديث النبوية وكان فى أول أمره يطلب الأدب فكان أفصح العرب فى وقته حتى ان الأصمعى تعلم الأدب عليه وقرأ ديوان الهذليين منه ولقد رووا عن الشافعى أشعاراً ولكن إذا قرأها الانسان لا يجد فيها قوة ولا عظمة من الشافعيين ولذا أرى أنها مدسوسة عليه ويقول المؤرخون أن مسلم ابن خالد الزنجى قال للشافعى انت ياأبا عبد الله فقد آن لك أن تفتى وكان الشافعى حينئذ دون العشرين سنة ثم رحل الشافعى إلى المدينة ليتعلم العلم على مالك ابن انس وخرج الشافعى إلى اليمن بعد موت مالك قال الشافعى كنت على عمل باليمن ولقد ارتفع شأن الشافعى فى اليمن حتى أن الحساد سعوا به الى هارون الرشيد .

وقدم الشافعى بعد ذلك الى بغداد سنة ١٩٥ هجرية وصنف فى العراق كتابه القديم كتاب الحجة ويرويه عنه أربعة من أصحابه وهم احمد بن حنبل وابو ثور والزعفران والكرابيس ثم خرج الشافعى الى مكه وعاد الى بغداد فى سنة ١٩٨ هجرية وأقام بها اشهر ثم أنه خرج الى مصر هذه السنة وقال ياقوت فى معجم الأدباء ان الشافعى قدم الى مصر سنة ١٩٩ هجرية فى أول خلافة المأمون وكان سبب قدومه الى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس ابن موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه وكان العباس خليفة لأبيه على مصر قال الربيع :سألنى الشافعى عن اهل مصر فقلت : هم فرقتان فرقة مالت الى قول مالك وناضلت عليه ، وفرقة مالت الى قول ابى حنيفة وناضلت عليه ، فقال : ارجو ان اقدم مصر ان شاء الله فآتيهم بشىء اشغلهم عن القولين جميعا . قال الربيع : ففعل ذلك والله حين دخل مصر .

ابن حجر ص ٧٧٠ وفى شرح المهذب قال الربيع ايضا قدم الشافعى الى مصر سنة ٢٠٠ من الهجرة والف كتبه الجديدة كلها بمصر وقال ابن خلكان ثم عاد الشافعى سنه ١٩٨ الى بغداد فاقام بها شهرا ثم خرج الى مصر وذكروا

أيضا أن الامام الشافعى كان عالما بالطب وعالما بعلم التنجيم وعالما يعلم الفراسة وتزوج الشافعى «حميد» بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له أبا عثمان محمدا وكان قاضيا لمدينة حلب وفاطمة وزينب .

كان الشافعى عزيزاً صبوراً وقال ولدت بغزة وربيت بالحجاز وما عندنا قوت يوم ومابتنا جياعا قط وكان يلبس الثياب الرفيع من الكتان والقطن البغدادى ويلبس القلنسوة ويلبس الخف وكان يتصدق بجميع ما عنده ويتفقد الفقراء والضعفاء وكان يسكن بمكة فى جهة تسمى شقب الخيف كان الشافعى رضى الله عنه طويل القامة قليل لحم الوجه طويل العنق اسمر اللون خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حسن الصوت حسن السمع عظيم العقل حسن الوجه حسن الخلق مهيبا فصيحا بليغا ولقد اعترف له ائمة اللغة بالتقدم فى علم اللغة وكمال الفصاحة ومما يروى عن الشافعى وزكائه أنه لما قام الامام أحمد بن حنبل من بغداد الى مكة لأداء فريضة الحج ومعه صاحباه اسحاق بن راهويه ويحيى بن معين ودخلوا المسجد الحرام فوجدوا الشافعى وهو فى الخامسة عشرة جالسا على كرسيه يقرأ للناس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا حلقته أكبر الحلقات فقال اسحق لابن حنبل سله يا أحمد عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم امكنوا الطيور فى أوكارها .

فقال الشافعى كان أهل الجاهلية اذا أرادوا سفراً أخرجوا الطيور من أوكارها فان أخذت يمينا أو الى الامام استحسنوا ذلك الفأل وسافروا وأن أخذت شمالا أو رجعت الى الخلف تطيروا ورجعوا عن السفر فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم نص عن ذلك ومن ذلك الوقت انطبع حب الشافعى فى قلب أحمد بن حنبل وقال اسحق والله لو لم تأتى من العراق الى الحجاز إلا لطلب تفسير هذا الحديث لكفى استمر الشافعى فى تحصيل العلم

وتدريسه ببيت الله الحرام تحضر عليه العلماء والشعراء والادباء إلى أن تجاوز العشرين من العمر وظهر للناس كتاب الموطأ للامام مالك فاشتاق الشافعى الى رؤية مالك بالمدينة ثم استعاد كتاب الموطأ من رجل من أهل مكة وحفظه ثم توجه إلى المدينة وتقابل مع الامام مالك وقال له يامحمد اتق الله واجتنب المعاصى إنى أرى فى قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصيـة فانه سيكون لك شأن فى الناس فقال الشافعى نعم وكرامه قال مالك إذا كان الغد فتجىء لنقرأ لك الموطأ فقال الشـافعى إنى اقرؤه يامولاى حفظاً قال مالك اقرأ فاخذ الشافعى يقرأ ومالك يسمع له وكلما خاف الشافعى على مالك من الملاله سكت فيقول له زد يافتى فانى استحسن قراءتك .

وهكذا استمر الشافعى على الحضور الى بيت الامام فى كل يقرأ عليـه الموطأ ومالك يسمعه له حتى قرأ عليه الموطأ كله فى أيام يسـيرة وبعد ذلك رأى الشافعى أن يحضر مجلس الإمام مالك فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم للسماع منه فرآه داخـلا من باب النبى مؤتزراً ببردة متشحاً باخرى متطيباً مغتسلا مسرحاً لحيته وكانت هذه عادته عند قراءته حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام له من فى المجلس جميعاً ثم جلس وجاس الحاضرون وبدأ الإمام مالك فى قراءة الحديث فقال حدثنا نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وأشـار بيده إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ خمسة وعشرون حديثا وكان كلما قرأ حديثا كتبه الشافعى على ذراعه بريقه بواسطة عود أخذه من الأرض حتى إذا ما انقضى المجلس أشار اليه مالك فدنا الشافعى منه .

وقال له ياغلام أنا املى حديث الرسول وأنت تلعب بريقك على يدك فقال الشافعى لم اكن العب بريقى وانما كنت اكتب ما سمعته منك لعدم وجود قرطاس عندى فقال مالك متعجباً اعد على ولو حديثاً واحداً فقال الشافعى حدثنا مالك عن نافع وصار يعيد الأحاديث كلهـا التى سمعها حتى أعاد عليه

الخمسة وعشرون حديثاً كلها وكانت الشمس قد غربت فصلى مالك المغرب وأخذ الشافعى إلى منزله وأقام عنده ثمانية أشهر يلازمه فى البيت وفى المسجد ويقدم له مالك الطعام والماء بيده ويأخذه بصحبته إلى المسجد وكان من عادة المصريين أن يتوجهوا إلى المدينة بعد حجهم لزيارة قبر الرسول وسماع الموطأ من مالك .

وكان مالك رضى الله عنه ينيب الشافعى عنه فى املائه الموطا فسمعه من المصريين عليه عبد الله بن عبد الحكم وأشهب والإمام الليث بن سعد حتى ان الشافعى لما قدم الى مصر كان عبد الله بن عبد الحكم أعظم مرحب به ويقال إن الشافعى لما حضر إلى مصر كان من بجينه أن يرى الإمام الليث فليلة أن حضر الإمام الشافعى إلى مصر مات الإمام الليث تلك الليلة فلم يره وقالت الناس مات امام وجائنا امام ولنرجع بنا الى سبب انتقال الامام الشافعى من المدينة إلى العراق وذلك انه لما قدم ركب الحجاج العراقيين إلى المدينة املى عليهم الشافعى الموطأ وسمع الشافعى منهم أخبار علماء العراق كأبى يوسف ومحمد صاحبى الإمام أبى حنيفة رغب الشافعى السفر إلى العراق واستأذن مالكاً فى ذلك فاذنه بالسفر إلى العراق وزوده بستة وأربعين ديناراً واكترى له راحلة إلى العراق وخرج يودعه الى الباقية وبعد أربعة وعشرين يوما من سفر الحجاج العراقيين إلى الكوفة فتوجه الشافعى إلى مسجد على بن أبى طالب وصلى فيه العصر أقام الشافعى مدة فى الكوفة ضيفاً على محمد ين الحسن .

ثم أراد الشافعى الطواف فى بلاد فارس وبلاد العراق فأعطاه محمد بن الحسن ثلاثة آلاف درهم ليستعين بها فى سياحته فسار فى بلاد الفارس ثم ديار ربيعة ومصر ثم وصل إلى بلاد الروم وهى الأناضول الآن ثم سافر إلى فلسطين وأقام فى الرملة جنوب بيت المقدس ولقد استفاد الشافعى من هذا

الطواف لملاقاته بالعلماء ومعرفته بأحوال العباد وأخلاقهم وعاداتهم ولغاتهم واستغرقت السياحة حولين كاملين من سنة ١٧٢ إلى سنة ١٧٤ هجرية .

وبينما هو فى الرملة واذا بركب قد جاء من الحجاز فسألهم الشافعى عن مالك فقالوا أنه بخير فاشتاق الشافعى السفر إلى المدينة وفعلا سافر اليها ولما وصلها قصد مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ورأى كرسيا من الحديد وحوله نحو أربع مئة دفتر ورأى مالك داخلا من باب النبى صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد ورأى الشافعى فاخذه الى منزله وأقام الشافعى بعد ذلك فى المدينة أربع سنوات وأشهراً الى ان توفى الامام مالك فى شهر ربيع الأول سنة ١٩٧ هجرية .

بقى الشافعى فى المدينة وحيداً بعد وفاة مالك الى ان جاء والى اليمن الى المدينة ورأى الشافعى فاخذه الى صنعاء اليمن قلده عملا مستقلا واثنى الناس عليه لحسن ادارته فى اليمن وتعلم علم الفراسة من أهل اليمن الذين يجيدون فقهها ولما لمع نجمه فى اليمن لعلو كعبه فى العلوم على اختلافها حقد عليه الحاقدون فوشوا به عند الخليفة هارون الرشيد فى بغداد واتهموه بانه رئيس حزب للعلويين فى اليمن وأنه يدعو الى عبد الله بن المحض الحسن المثنى بن الحسين السبط .

فأرسل هارون الرشيد أحد قواده الى اليمن فبعث له ذلك القائد بكتاب يخوفه من العلويين ويذكر له فيه الشافعى ، ويقول عنه : إنه يعمل بلسانه مالا يقدر المقاتل عليه بحسامه وسنانه وان أردت يا أمير المؤمنين ان تبقى الحجاز عليك فاحملهم اليك فبعث الرشيد إلى والى اليمن يأمره بأن يحمل العلويين الى بغداد ومعهم الشافعى مكبلا فى الحديد فاعتقلهم الوالى وفى جملتهم الشافعى ووضع فى رجليه الحديد تنفيذاً لأمر الخليفة وأرسلهم الى بغداد فدخلوها فى غسق الليل واحضروا بين يدى هارون الرشيد وكان

جالساً وراء ستار وكانوا يقدمون اليه واحداً واحداً وكل من تقدم منهم قطع رأسه كل ذلك والشافعى بالباب يدعو ربه بدعائه المشهور عنه وهو اللهم يالطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير ويكرره مراراً ولما جاء دوره حملوه الى الخليفة وهو مثقل بالحديد فرمى من بحضرة الخليفة بابصارهم اليه فقال الشافعى السلام عليك يا أمير المؤمنين وبركاته ولم يقل ورحمة الله فقال الرشيد وعليك السلام ورحمة الله وبركاته بدأت بسنة لم تؤمر باقامتها ورددنا عليك فريضة قامت بذاتها ومن العجب أن تتكلم فى مجلس بغير امرى .

فقال الشافعى ان الله تعالى قال فى كتابه العزيز (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً) وهو الذى اذا وعد وفى فقد مكننى فى ارضه وامننى بعد خوفى حيث رددت على السلام بقولك وعليك رحمة الله فقد شملتنى رحمة الله بفضلك ياأمير المؤمنين

فقال الرشيد وما عذرك من بعد ما ظهر ان صاحبك يريد عبد الله ابن الحسن طغى علينا وبغى واتبعه الأرذلون وكنت انت الرئيس عليهم

فقال الشافعى اما وقد استنطقتنى يا أمير المؤمنين فسأتكلم بالعدل والانصاف لكن الكلام مع ثقل الحديد يتعب فان جدت على بفكه عن قدمى جثيت على ركبتى كثيرة آبائى عند آبائك وأفصحت عن نفسى واذ كانت الاخرى فيدك العليا ويدى السفلى والله غنى حميد فالتفت الرشيد الى غلامه سراج وقال له : حل عنه يا سراج فاخذ سراج ما فى قدميه من الحديد . فجثى الشافعى على ركبته وقال (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) حاشا لله ان اكون ذلك الرجل لقد ادلك المبلغ فيما بلغك به ياأمير المؤمنين .

ان لى حرمة الاسلام وذمة النسب وكفى بها وسيلة وانت أحق من أخذ بأدب كتاب الله تعالى أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاب

عن دينه المحامى عن ملته فتهلهل وجه الرشيد ثم قال ليفرج روعك فانا راعى حق قرابتك وعلمك ثم أمره بالقعود فقعد وقال الرشيد كيف علمك ياشافعى بكتاب الله قال ياأمير المؤمنين ان الله تعالى انزل كتبا كثيرة

قال الرشيد انما سألتك عن علوم القرآن قال الشافعى هى كثيرة وصار يعرض عليه من علوم القرآن ما أعجب هارون الرشيد وادهشه ثم قال عظنى ياشافعى فوعظه حتى بكى هارون الرشيد بكاء شديداً فأمر هارون الرشيد للشافعى بهدية الفين من الدنانير فلم يقبل الشافعى وبعد أيام قابل الرشيد الامام الشافعى فامر له بألف دينار فقبلها واستأذنه وانصرف فقال هارون الرشيد اتبع الشافعى حتى نرى ماذا يفعل بهذا المال فتبعه من غير أن يراه الشافعى فصار الشافعى يفرق ذلك المال على رجال حاشية القصر ولم يبق منه إلا شىء يسير أعطاها لسراج رجع سراج إلى الرشيد وأخبره بما رآه وأقام الشافعى فى بغداد يتلقى العلم ويصنف التصانيف ووضع مذهبه القديم وأقبل عليه الناس وأصبحت حلقته أكبر الحلقات .

وقد تلقى العلم فى بغداد عن الإمام وكيع ابن الجراح وابى أسامه ولما ذاع صيته فى بغداد حقد عليه العلماء ولكن الرشيد أراد أن يوليه قضاء اليمن فاعتذر الشافعى وقال يا أمير المؤمنين انى لا أرغب فى القضاء وانما اريد أن أتوجه إلى مصر فقال الرشيد لك ذلك .

كان الشافعى موضع احترام واجلال فى بغداد من مرائها وعلمائها مدة أقامته فيها حتى ان الإمام احمد بن حنبل رضى الله عنه مرض فعاده الشافعى فى منزله فلما رآه ابن حنبل نزل من على سريره وأجلس الشافعى مكانه وجلس هو على الأرض وعند الانصراف أركبه ابن حنبل دابته ومشى تحت ركابه وهو مريض حتى أوصله إلى بيته رأى الشافعى ان يرجع إلى مكة فى سنة ١٨١ هجرية فاستقبله أهل مكة استقبالا عظيما .

وأقام فى مكة سبع عشرة سنة يعلم الناس العلم وتنقل الحجاج عنه مذهبه الى بلادهم رأى الشافعى أن يعود إلى بغداد فى زمن خلافة المأمون فى سنة ١٩٨ هجرية وأقام فيها شهرا وبالصدفة أن ولي على مصر العباس بن موسى فرأى الشافعى أن يرافقه فى السفر من بغداد إلى مصر فودعه جميع من فى بغداد ورافق الشافعى فى رحلته إلى مصر كثير من العلماء تلامذته وفى مقدمتهم الربيع بن سليمان وعبد الله الحميدى وفى ٢٨ شوال سنة ١٩٨ هجرية .

وصل الشافعى الى مصر مع العباس بن موسى الذى أراد أن يضيفه فاعتذر له ونزل عند أقاربه فى مصر وفى الصباح دخل على الشافعى علماؤها وأعيانها يتقدمهم عبد بن الحكم وكان من املى عليهم الشافعى الموطأ فى المدينة فسلم على الشافعى ووضع بين يديه أربعة آلاف دينار ابتدأ الشافعى حياته العلمية فى مصر بالقاء الدروس بجامع سيدنا عمرو بن العاص فكان يشتغل بالتدريس من الفجر الى صلاة الظهر وكانت العلماء تتلقى عنه العلم فى الجامع وعلى باب داره إلا محمد بن الحكم فانه كان يصعد الى أعلى الدار ويتغدى عند الشافعى فتلقى عن الشافعى علماء كثيرون منهم الربيع الجيزى (وقد سميت الجيزة باسمه) والبويطى واسماعيل المزنى وضع الشافعى فى مصر كتباً كثيرة منها كتاب الأم وكتاب الجزيه وكتاب الرسالة وقد وضع الشافعى فى مصر علم اصول الفقه ويرجع الفضل الأول له فى وضع هذا العلم فكان حقاً على أرباب العلوم أن يفتخروا بالشافعى لأنه أول من وضع علم الاصول وكان ينفق فى مصر من ما كان مرتبا له من جهة السيدة نفيسة رضى الله عنها فكانت تصله بالمال ، أقام الشافعى فى مصر ٥ سنوات و ٩ أشهر من ٢٨ شوال سنة ١٩٨ الى ٢٩ رجب سنة ٢٠٤ يعلم الناس وينشر مذهبه وفى ليلة الجمعة الأخيرة من شهر رجب سنة ٢٠٤ بعد العشاء الأخير خرجت روحه الشريفة الى ربها فعم أهل مصر الحزن والعويل وأصبح يوم

الجمعة ٣٠ رجب سنة ٢٠٤ وبعد صلاة العصر خرجت الجنازة من بيت الشافعي مخترقة الشوارع والأسواق الى أن وصلت إلى درب السباع وهو شارع السيدة نفيسة الآن فأمرت السيدة نفيسة بادخال النعش إلى بيتها ونزلت هي الى صحن دارها وصلت عليه صلاة الجنازة .

وقالت رحم الله الشافعي انه كان يحسن الوضوء ثم خرجت الجنازة إلى أن وصلت إلى تربة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وعرفت بتربة أولاد ابن عبد الحكم وفيها دفن الإمام الشافعي وعرفت بعد دفنه بتربة الامام الشافعي . وفى سنة ٤٧٤ هجرية بنى الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فى بغداد وأراد أن ينقل اليها جسم الشافعي الى بغداد لدفنها فى تلك المدرسة وأرسل بهدية كبيرة إلى بدر الجمالى أمير الجيوش وطلب منه نقل الجسم الشريف فلما علم أهل مصر بذلك هاجوا واحتجوا أشد الاحتجاج واعترضوا على ذلك . وقالوا لا يمكن ان ينقل الإمام الشافعي من مصر وفعلا لم ينتقل رضوان الله عليه إلى بغداد .

ورفع الأمر إلى الخليفة فى بغداد فأمر باتخاذ القوة فجمع بدر الجمال الجيوش وضرب نطاقاً حول القبر الشافعي وأحضر العمال والفعلة وأمرهم بالحفر فحفروا القبر حتى إذا ما وصلوا الى اللحد خرجت من اللحد رائحة كالمسك فاسكرتهم فلما أفاقوا استغفروا ربهم فأمر بدر الجمالى باعادة ردم القبر كما كان .

وكتب محضراً بذلك وقع عليه هو والحاضرون ورفعه إلى المستنصر ولما وصل المحضر الى بغداد قرأه نظام الملك على أهل العراق وأمر بارسال نسخ منه الى سائر البلاد فارتفعت بذلك منزلة الشافعي بين الناس واتبع مذهبه كثير من أهل تلك البلاد .

أما أهل مصر فلازموا زيارة قبر الشافعي أربعين يوما بلياليها .

وفى سنة ٥٦٧ هجرية أمر السلطان صلاح الدين الايوبى بدفن ابنه العزيز عثمان وأمه شمسه بجوار تربة الشافعى فى سنة ٥٩٥ هجرية .

وفى سنة ٦٠٨ هجرية ماتت أم الملك الكامل بن الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبى فامر بدفنها بجوار تربة الشافعى وبنى قبة وصرف عليها خمسين الف ديناراً وأقام فوقها مركباً على شكل ذهبية وكان يصعد اليها بسلسلة من الحديد لوضع الحبوب فيها طعاما للطيور .

وفى أيام السلطان قايتباى حصل ترميم فى هذه القبة فى سنة ١١٧٥ هجرية . أمر الأمير عبد الرحمن كتخدا ببناء مسجد للشافعى وهو أول مسجد بنى له وفى داخل قبة الشافعى رضى الله عنه قبور أولاد عبد الحكم وما زال قبر الإمام الشافعى إلى الآن كعبة يزورها الناس للتبرك به ولا تسل عن شدة الزحام يوم الجمعة .

ولقد أدركنا أن علماء الشافعية يبيتون ليلة السبت من كل أسبوع ويصلون الفجر ثم ينصرفون الى بيوتهم .

ولقد أدركنا أيضاً يوم الكنسة وهى مبدأ أول يوم فى المولد فى شعبان من كل سنة وهى أن يحضر الامراء والعظماء والعلماء إلى قبة الإمام الشافعى فيجلسون ملتفين حول الضريح الشريف ثم تفتح المقصورة ويحمل شيخ خدمة الإمام العمامة الشريفة ويخرج بها من المقصورة ويمشى بها على كل من حضر فى القبة ليدخل رأسه فى العمامة الشريفة ثم تستحضر عمامة جديدة توضع مكانها .

أما الإمام الشافعى رضى الله عنه فكراماته كثيرة وكرمه وفير .

ولقد حدثت لى حادثة تدل على كرم الإمام الشافعى وعلى علو شأنه فى الصفح والعفو فهو قاضى الحقيقة والشريعة .

ذلك انى حضرت مذهب الشافعى فى الأزهر الشريف بامر والدى لأنه

كان شيخاً للشافعية فكان متشيعاً له ولما طلبت من والدى تلقى العلم على مذهب الإمام أبى حنيفة لأكون قاضياً بالمحاكم هددنى والدى بالخروج من منزله . وقال لى أن الشافعى صاحب البلد فلا يصح أن تتعدى صاحب البلد فحضرت مذهب الامام أبى حنيفة خلسة ثم دخلت الامتحان فى الازهر الشريف ونلت شهادة العالمية على مذهب الامام الشافعى .

ثم مضيت فى الازهر الشريف خمسة عشر سنة ثم أردت الخروج من الازهر فدخلت الامتحان ثانياً وأنا عالم كبير دخلت الامتحان كطالب يريد نوال شهادة العالمية وفعلا نجحت ونلت الشهادة .

وجاءنى بيورلدى شهادة العالمية على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان وصرت فى الأزهر أدرس سنة على مذهب الشافعى وسنة على مذهب أبى حنيفة ولقبت صاحب الدرجتين والبيورلدين مما لم ينله أحد قبلى فى الأزهر مسألة الامام الشافعى معى هى أن وزير الحقانية أرسل لى أن أقابله فى منزله فقابلته فى منزله وقال لى نظراً لأنك صاحب الدرجتين وذو المذهبين قد عينتك قاضيا فى محكمة بنى سويف الشرعية واللجنة ستنعقد باكر تحت رئاستى وستقر ذلك فتشكرت له .

وتوجهت الى منزلنا فاخبرت أولادى ومعارفى وأصدقائى واستحضرنا الفقهاء يرتلون القرآن والناس تهنينى لأنى عينت فعلا .

بعد ذلك نمت فرأيت فى المنام أن الشافعى خرج من قبره فاردت أن أقبل يده فقال لى أنا غضبان عليك ولا أرضى عنك إلا اذا رضى عنك سيدنا الامام الحسين فزر سيدنا الحسين وتوسل اليه بالرضى وتوسل اليه بمن يسمى الشيخ سيد العدوى شيخ تكية خليل أغا وأنت لا تعين باكر قاضيا فقمت من النوم وأنا فى غاية من الكرب والغم وقلت فى نفسى باى وجه اقابل الناس بعد أن هنئونى بالقضاء ووعدنى وزير الحقانية بذلك . !

فتوجهت الى وزارة الحقانية واجتمعت اللجنة تحت رئاسة الوزير وكان اسمى قد أرسل اليها للتصديق على التعيين فلما انقضت اللجنة سألت شيخ الازهر فقال لى عدلنا عنك هذه المرة قلت له وما السبب قال لا أعرف قلت هل يمكن تعيينى فى المرة المقبلة قال لا أظن ذلك .

توجهت بعد ذلك الى الشيخ سيد العدوى وأخبرته الخبر فبكى وقمنا سوياً الى قبة الامام الحسينى فبكى وتضرع بطلب العفو من تغيير مذهبى وانى مازلت شافعياً وبعد اسبوع رأيت أنى فى قبة الامام الشافعى وخرج هو رضى الله عنه من تربته وأعطانى يده فقبلتها .

وقال عفونا عنك ورضى عنك الامام الحسين وستعين فى القضاء بعد باكر ومن غير سعاية ولا طلب لذلك .

واذا بالأمر الملكى بتعيينى قاضياً بمحكمة بنى سويف الشرعية الى أن نقلت الى محكمة مصر ثم الى التفتيش الشرعى ثم الى محامى وزارة الأوقاف ثم نقلت الى دار الكتب المصرية وما زلت بها الى الآن كل هذا بفضل الامام الشافعى صاحب الكرامات والامدادات والنفحات النبوية .

ولو أنا نريد أن نعدد فضل الإمام الشافعى أو أن نذكر شيئا عن كراماته لعجزنا عن ذلك فأفضاله على الأمم الاسلامية كثيرة وكراماته وفيرة نفعنا الله به ووهبنا رضاءه آمين .

رجع بنا الكلام الى مذهبيه القديم والجديد وما الفرق بينهما .

ومن المعلوم أنه صنف القديم فى بغداد وصنف الجديد بمصر :

قال البيهقى قرأت باسناد عن البويطى قال :

سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول لا أجعل فى حل من روى عنى كتابى البغدادى وهذا غير معيب فى الشافعى من أنه رجع عن مسائل فى المذهب القديم لأن الصحابة كثيرا ما فعلت مثل هذا .

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان رأيى ورأى عمر فى أمهات الأولاد أن لا يبعن وأنا الآن أرى بيعهن .

وقال عمر بن الخطاب فى كتابه إلى عبد الله بن قيس فى آداب القضاء لا يمنعك قضاء قضية بالأمس فراجعت فيه عقلك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق فان الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل .

وكان عمر لايورث الاخوة والأخوات مع الجد رجع إلى قول على وزيد فى التشريك بينهم فكل مسألة فيها قولان للشافعى رحمه الله قديم وجديد فالجديد هو الصحيح وعليه العمل لأن القديم مرجوع عنه

واستثنى جماعة من أصحابنا نحو عشرين مسألة أو أكثر وقالوا يفتى فيها بالقديم وقد يختلفون فى كثير منها قال إمام الحرمين فى النهاية فى باب المياه وفى باب الأذان :

قال الأئمة كل قولين قديم وجديد فالجديد أصح إلا فى ثلاث مسائل .

مسألة التثويب فى أذان الصبح القديم استحبابه .

ومسأله التباعد عن النجاسة فى الماء الكثير القديم أنه لا يشترط ولم يذكر الثالثة هنا .

وذكر فى مختصر النهاية أن الثالثة تأتى فى زكاة التجارة .

وذكر فى النهاية عند ذكره قراءة السورة فى الركعتين الاخيرتين أن القديم لا يستحب قال وعليه العمل .

وذكر بعض المتأخرين من أصحابنا أن المسائل التى يفتى بها على القديم أربع عشرة .

فذكر الثلاث المذكورات .

ومسألة الاستنجاء بالحجر فيما جاوز المخرج والقديم جوازه .

ومسألة لمس المحارم والقديم لا ينقض .

ومسألة الماء الجارى القـديم لا ينجس إلا بالتغير ومسألة تعجيل العشاء القديم أنه أفضل ومسألة وقت المغرب والقديم امتـداده إلى غروب الشفق : ومسألة المنفرد إذا نوى الاقتـداء فى أثناء الصلاة القديم جوازه : ومسألة أكل جلد الميتـة المدبوغ القديم تحريمه : ومسألة وطء المحرم بملك اليمين القديم أنه يوجب الحد : ومسألة تقليم أظفار الميت القديم كراهته : ومسألة شرط التحلل من الإحرام بمرض ونحوه القديم جوازه : ومسألة اعتبـار النصاب فى الزكاة القديم لا يعتبر : وهذه المسائل التى ذكرها هذا القـائل ليست متفقـا عليها بل خالف جماعات من الأصحاب فى بعضها أو أكثرها ورجحوا الجديد : ونقل جماعات فى كثير منها قولا آخر فى الجديد يوافق القديم فيكون العمل على هذا الجديد لا القديم .

وأما حصره المسائل التى يفتى فيها على القديم فى هذه فضعيف أيضاً فإن لنا مسائل أخر صحح الاصحاب أو أكثرهم أو كثير منهم فيها القديم .

منها الجهر بالتأمين للمأموم فى صلاة جهرية القديم استحبابه وهو الصحيح عند الأصحاب وإن القاضى حسـين قد خالف الجمهور فقال فى تعليقه القديم أنه لا يجهر .

ومنها من مات وعليه صوم القـديم يصوم عنه وليه وهو الصحيح عند المحققين للاحاديث الصحيحة فيه .

ومنها استحباب الخط بين يدى المصـلى إذا لم يكن معه عصا ونحوها القديم استحبابه وهو الصحيح عند المصنف وجماعات .

ومنها إذا امتنع أحد الشريكين من عمارة الجدار أجبر على القديم وهو الصحيح عند ابن الصباغ وصاحبه الشاشى وأفتى به الشاشى .

ومنها الصداق فى يد الزوج مضمون ضمان اليد على القديم وهو الأصح عند الشيخ أبى حامد وابن الصباغ والله أعلم .

هذا ما رجحوه من الأقوال وفرقوا به بين المذهب الجديد والقديم .

وقال بعضهم أنها عشرين مسألة وقال بعضهم أربعة عشر والصحيح من قول الشافعى الجديد وقد اختلف العلماء فى عددها وقد منع النووى الحصر.

وقال أما حصره المسائل التى يفتى فيها على القديم فى هذه الاربع عشرة فضعيف فإن لنامسائل أخرى صحح الأصحاب أو أكثرهم أوكثير منهم فى القديم.

وبالجملة فمذهب الامام الشافعى مذهب نفيس فهو الفقيه الذى ضبط الرأى ووضع موازين القياس ووضح الطريق لفهم الكتاب والسنة وبيان الناسخ والمنسوخ .

والشافعى فوق ذلك هو أول من وضع علم أصول الفقه فان الشافعيه قد دون كتبه الجامعة لأصول مذهبه وجهات اجتهاده فهو قد عبد السبيل وأنار الطريق .

ولقد وهب الله الشافعية حظا من المواهب تجعله فى الدرجة الأولى من قادة الفكر وزعماء الآراء لأنه كان قويا فى مداركه كان حاضراً البديهة وعميق الفكرة وبعيد المدى فى الفهم حتى جعل الله مذهبه مذهبا تنتفع به الأجيال .

ولقد وهب الله لهذا المذهب ذيوعا وانتشاراً فى جميع ممالك الأرض .

وسنذكر دوراً من كلامه رضى الله عنه .

فقد قال رضى الله عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة : وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم .

وقال ما تقرب الى الله تعالى بشىء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال ما أفلح فى العلم الا من طلبه بالقلة .

وقال رحمه الله الناس فى غفلة عن هذه السورة (والعصر ان الانسان لفى خسر) وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء الثلث الأول يكتب والثانى يصلى والثالث ينام .

وقال الربيع نمت فى منزل الشافعى ليالى فلم يكن ينام من الليل إلا أيسره.

وقال بحر بن نصر ما رأيت ولا سمعت كان فى عصر الشافعى اتقى لله ولا أورع ولا أحسن صوتاً بالقرآن منه .

وقال الحميدى كان الشافعى يختم فى كل شهر ستين ختمة .

وقال حرملة سمعت الشافعى يقول وددت ان كل علم أعلمه تعلمه النـاس أؤجر عليه ولا يحمدوننى .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله كأن الله تعالى قد جمع فى الشافعى كل خير.

وقال الشافعى ما كذبت قط ولا حلفت بالله تعالى صادقا ولا كاذبا .

وقال ما تركت غسل الجمعة فى برد ولا سفر ولا غيره .

وقال ما شبعت منذ سبعة عشر سـنة الا شبعة طرحتها من ساعتى وفى رواية من عشرين سنة .

وقال من لم تعزه التقوى فلا عز له .

وقال ما فزعت من الفقر قط .

وقال طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد .

وقيل للشافعى مالك تدمن امساك العصا ولست بضعيف فقال لاذكرانى مسافر يعنى فى الدنيا .

وقال من شهد الضعف فى نفسه نال الاستقامة . وقال من غلبته شـدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضى بالقنوع زال عنه الخضوع .

وقال خير الدنيا والاخرة فى خمس خصـال غنى النفس وكف الأذى وكسب الحلال ولباس التقوى والثقة بالله تعالى على كل حال .

وقال للربيع عليك بالزهد وقال أنفع الزخائر التقوى وأضرها العدوان

وقال من أحب أن يفتح الله قلبه أو أن ينوره فعليه بترك الـكلام فيما لا

يعنيه واجتناب المعاصى ويكون له خبيئة فيما بينه وبين الله تعالى من عمل .
وفى رواية فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبغض أهل العلم الذين ليس معهم انصاف ولا أدب .

وقال يا ربيع لاتتكلم فيما لا يعنيك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها .

وقال ليونس بن عبد الاعلى لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضى الناس كلهم فلا سبيل فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل : وقال لو أوصى رجل بشىء لأعقل الناس صرف الى الزهاد

وقال سياسة الناس أشد من سياسة الدواب : وقال العاقل من عقله عقله عن كل مذموم

وقال لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص من مروءتى ما شربته

وقال للمروءة اربعة اركان حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك وقال المروءة عفة الجوارح عما لا يعنيها : وقال اصحاب المروءات فى جهد

وقال من أحب ان يقضى الله له بالخير فليحسن الظن بالناس : وقال لا يكمل الرجال فى الدنيا الا بأربع الديانة والامانة والصيانة والرزانة : وقال أقمت أربعين سنة أسأل اخوانى الذين تزوجوا عن أحوالهم فى تزوجهم فما منهم احد قال أنه رأى خيراً

وقال ليس بأخيك من احتجت الى مداراته : وقال من صدق فى إخوة أخيه قبل علله وسد خلله وغفر زلله

وقال من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا : وقال ليس سرور يعدل صحبة الاخوان ولا غم يعدل فراقهم .

وقال لا تقصر فى حق أخيك اعتمادا على مودته : وقال لاتبذل وجهك الى من يهون عليه ردك : وقال من برك فقد أوثقك ومن جفاك فقد أطلقك .

وقال من نم لك نم بك ومن اذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك واذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك .

وقال الكيس العاقل هو الفطن المتغافل : وقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه . ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

وقال من سام بنفسه فوق ما يساوى رده الله الى قيمته : وقال الفتوة حلى الاحرار .

وقال من تزين بباطل هتك ستره : وقال التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام .

وقال التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة وقال ارفع الناس قدرا من لا يرى قدره وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله .

وقال اذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها : وقال من كتم سره كانت الخيرة فى يده .

وقال الشفاعات زكاة المروءات : وقال ما ضحك من خطأ رجل الا ثبت صوابه فى قلبه

وبالجملة لو أردنا أن نذكر الحكم التى ظهرت على لسان الامام الشافعى رضى الله عنه لما وفينا ذلك .

ولنذكر الآن نبذة مما كتبه النووى عن حالة الشافعى رضى الله عنه حيث قال فمن ذلك شرف النسب الطاهر والعنصر الباهر واجتماعه هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى النسب : وذلك غاية الفضل ونهاية الحسب .

ومن ذلك شرف المولد والمنشأ فانه ولد بالارض المقدسة ونشأ بمكة : ومن ذلك أنه جاء بعد أن مهدت الكتب وصنفت وقررت الأحكام ونقحت فنظر فى مذاهب المتقدمين وأخذ من الائمة المبرزين وناظر الحذاق المتقنين فنظر مذاهبهم وسيرها وتحققها وخبرها فلخص منها طريقة جامعة

للـكتاب والسنة والاجماع والقيـاس ولم يقتصر على بعض ذلك وتفرغ للاختيار والترجيح والتكميل والتنقيح مع كمال قوته وعلو همته وبراعته فى جميع أنواع الفنون واضطلاعه منها أشد اضطلاع وهو المبرز فى الاستنباط من الـكتاب والسنة البـارع فى معرفة الناسخ والمنسوخ والمجمل والمبين والخاص والعـام وغيرها من تقاسيم الخطاب فلم يسبقه أحد الى فتح هذا الباب لأنه أول من صنف اصول الفقـه بلا خلاف ولا ارتياب وهو الذى لا يساوى بل لايدانى فى معرفة كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عايه وسلم ورد بعضها إلى بعض .

وهو الامام الحجة فى لغة العرب ونحوهم فقد اشتغل فى العربية عشرين سنة مع بلاغته وفصاحته ومع أنه عربى اللسان والدار والعصر وبها يعرف الـكتاب والسنة .

وهو الذى قلد المنن الجسيمة جميع أهل الآثار وحمـلة الأحاديث ونقلة الأخبـار بتوقيفه إياهم على معانى السنن وتنبيههم وقذفه بالحق على الباطل لمخالفى السنن وتمويههم وظهرت كلمتهم على جميع المخالفين ودمغوهم بواضحات البراهين حتى ظلت أعناقهم لها خاضعين .

قال محمد بن الحسن رحمه الله أن تـكلم أصحـاب الحديث يوما ما فبلسان الشافعى يعنى لما وضع من كتبه .

وقال الحسن بن محمد الزعفرانى كان أصحاب الحديث رقوداً فأيقظهم الشافعى فتيقظوا .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ماأحد مس بيده محبرة ولا قلما إلا وللشافعى فى رقبته منـة فهذا قول إمام أصحاب الحديث وأهله ومن لا يختلفون فى ورعه وفضله .

ومن ذلك أن الشافعى رحمه الله مكنه الله من أنواع العلوم حتى عجز لديه

المناظرون من الطوائف وأصحاب الفنون واعترف بتبريزه وأذعن الموافقون والمخالفون فى المحافل المشهورة الكبيرة المشتملة على أئمة عصره فى البلدان وهذه المناظرات معروفة موجودة فى كتبه رضى الله عنه وفى كتب الأئمة المتقدمين والمتأخرين وفى كتاب الامام للشافعى رحمه الله من هذه المناظرات جمل من العجائب والآيات والنفائس الجليلات . والقواعد المستفادات . وكم من مناظرة وقاعدة فيه يقطع كل من وقف عليها وانصف وصدق أنه لم يسبق إليها .

ومن ذلك أنه تصدر فى عصر الأئمة المبرزين للافتاء والتدريس والتصنيف . وقد أمره بذلك شيخه أبو خالد مسلم بن خالد الزنجى امام أهل مكة ومفتيها وقال له افت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك أن تفتى وكان للشافعى إذ ذاك خمس عشرة سنة .

وأقاويل أهل عصره فى هذا كثيرة مشهورة وأخذ عن الشافعى العلم فى سن الحداثة مع توفر العلماء فى ذلك العصر وهذا من الدلائل الصريحة لعظم جلالته وعلو مرتبته وهذا كله من المشهور المعروف فى كتب مناقبه وغيرها .

ومن ذلك شدة اجتهاده فى نصرة الحديث واتباع السنة وجمعه فى مذهبه بين أطراف الأدلة مع الاتقان والتحقيق والغوص التام على المعانى والتدقيق . حتى لقب حين قدم العراق بناصر الحديث وغلب فى عرف العلماء المتقدمين والفقهاء الخراسانيين على متبعى مذهبه لقب أصحاب الحديث فى القديم والحديث .

وقد روينا عن الامام أبى بكر محمد بن اسحاق بن جزيمة المعروف بإمام الأئمة وكان من حفظة الحديث ومعرفة السنة بالغاية العالية أنه سئل هل تعلم سنة صحيحة لم يودعها الشافعى كتبه قال لا .

ومع هذا فاحتاط الشافعى رحمه الله لكون الاحاطة ممتنعة على البشر فقال ما قد ثبت عنه رضى الله عنه من أوجه من وصيته بالعمل بالحديث الصحيح

وترك قوله المخالف للنص الثـابت الصريح وقد امتثل أصحابنـا رحمهم الله وصيته وعملوا بها فى مسـائل كثيرة مشهورة كمسئلة التثويب فى الصبح ومسئلة اشتراط التحلل فى الحج بعـذر وغير ذلك وستراها فى مواضعها ان شاء الله تعالى .

ومن ذلك تمسكه بالاحاديث الصحيحه : وأعراضه عن الاخبار الواهية الضعيفة ولا نعلم احدا من الفقهاء أعتنى فى الاحتجاج بالتمييز بين الصحيح والضعيف كاعتنائه ولا قريبا منه فرضى الله عنه .

ومن ذلك شدة اجتهاده فى العبادة وسلوك طرائق الورع والسخاء والزهاده . وهذا من خلقه وسيرته مشهور معروف ولا يتمارى فيه الا جاهل أو ظالم عسوف : فـكان رضى الله عنه بالمحل الاعلى من متانة الدين وهو من المقطوع بمعرفته عند الموافقين والمخالفين

وليس يصح فى الأذهان شىء اذا احتـاج النهـار الى دليـل

وأما سخاؤه وشجاعته وكمال عقله وبراعته فانه مما اشترك الخواص والعوام فى معرفته فلهذا لا أستدل له لشهرته وكل هذا مشهور فى كتب المناقب من طرق .

ومن ذلك ما جاء فى الحديث المشهور « عالم قريش يملأ طباق الارض علما » وحمله العلماء من المتقدمين وغيرهم من غير أصحابنا على الشافعى رحمه الله واستدلوا له بأن الأئمة من الصحابة رضى الله عنهم الذين هم أعلام الدين لم ينقل عن كل واحد منهم الا مسائل معدودة إذ كانت فتاواهم مقصورة على الوقائع بل كانوا ينهون من السؤال عن ما لم يقع وكانت هممهم مصروفة الى قتال الـكفار لاعلاء كلمة الاسلام والى مجاهدة النفوس والعبادة فلم يتفرغوا للتصنيف . وأما من جاء بعدهم وصنف من الائمه فلم يكن فيهم قريشى قبل الشافعى ولم يتصف بهذه الصفة أحد قبله ولا بعده .

ولنذكر أيضاً ما كتبته الخطط التوفيقية بوجه الاختصار حيث قالت (جامع الامام الشافعى) رضى الله عنه :

هذا الجامع بالقرافة الصغرى حيث مشهد الامام الشافعى رضى الله عنه بقرب جامع الامام الليث أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا فى مكان المدرسة الصلاحية .

ففى إسعاف الراغبين فى أهل البيت للشيخ الصبان عند ترجمة الامام الشافعى رضى الله عنه لما تعطل غالب شعائر المدرسة الصلاحية التى بجوار قبة الشافعى وقل الانتفاع منها هدمها حضرة الأمير عبد الرحمن كتخدا مع أماكن قد اشتراها وبنى الجميع مسجداً عظيما متسعاً سعته خمس وسبعين ومائة وألف وأقام تلك الشعائر فانتفع بها الساكنون والزائرون انتفاعاً كلياً انتهى .

والذاهب من القاهرة يدخل أولا فى طرقة مستطيلة مفروشة بالحجر النحت من عمل عبد الرحمن كتخدا وحولها دور ومساكن فيجد باب الميضاة عن يمينه وبعده باب من أبواب المسجد به طرقة طويلة مسقوفة مفروشة من فرش المسجد وعلى واجهته هذا البيت :

مسجد الشافعى بحر علوم أشرقت شمسه بنور محمد

وبعد هذا الباب الباب الكبير تجاه المشهد الشريف يصعد اليه بسلم من الرخام وأمامه رحبة صغيرة مفروشة بالرخام والترابيع وبأعلاه لوح مصبوغ بالأخضر مكتوب عليه هذا البيت :

الله نور مسجدا تاريخه يزهو به اشراق مجد الشافعى

يزهو	به	اشراق	مجد	الشافعى
٢٨	٧	٦٠٢	٤٧	٤٩٢

سنة ١١٧٦

والباب المذكور مبنى من الرخام وبابه الخشب مصفح بالنحاس ومن

داخله رحبـة من الرخام الترابيع بهـا بابان باب المسجد وباب المشهد وعن شمال الداخل سبيل من الرخام عليه شباك من النحاس وله كيزان من نحاس أصفر مربوطة بالسلاسل مكتوب عليه « أنشأ شباك هذا السبيل المبارك من فضل الله تعالى أمير اللواء على بيك دفتردار مصر حالا فى شهر الحجة سنة احدى ومائتين وألف ».

وهناك فى الحائط حجر مدور أسود وفى الجامع ستة عشر عمودا من رخام عليه قناطر من حجر وقبلة فى احدى زواياه وهى من الرخام جددها محمد أغا مرور وكيل أغا دار السعادة وبحائطها قطعة رخام مكتوب فيها جدد عمارة المدرسة الشريفة وتبييضها وتبليطها وعمارة الميضأة المباركة أمير اللواء الشريف السلطانى على بيك دفتردار مصر حالا تحريرا فى ذى القعدة سنة أربع ومائتين وألف

ومنبره من الخشب بالشغل القديم وبجوار المنبر شباك يجلس فيه الخطيب قبل خطبة الجمعة وفية دكه للمبلغين وسقفه من الشغل البلدى القديم المنقوش وفى الجامع عن شمال الخارج من القبة مقصورة من الخشب منها أضرحة لبعض فضلاء الشافعية منهم شيخ الاسلام زكريا الانصارى والشيخ أبو الحسن المفسر والشيخ شيبان الراملى

وفى حائطه الغربية باب يوصل الى زاوية السادة البكرية فى طرقه مفروشة بالحجر النحت عليه رخامة مكتوب فيها

أكرم به من مسجد مصباحه   كنز الهدى المولى الامام الشافعى

وله منـارة واحدة لقلة السكان فى تلك الجهـة وشعائر مقامة الى الغاية ويقرأ فيه درس مرتب بعد صلاة الجمعة .

وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة مثمنة الأركان وهى من انشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا فهدمها الامير على بيك الـكبير ووسعها وجعلها مربعه

مستطيلة متسعة وبجانبها حنفية ببزابيز وحولها كرامى راحة بحيضان متسعة تجرى مياهها من بعض الى بعض وماؤها شديد الملوحة .

انتهى جبرتى من حوادث سنة سبع وثمانين ومائة والف وفى سنة ثلاثين ومائتين والف تقريبا عمل المرحوم محمد على باشا مجرى ابتداؤها من مجرى عيون القلعة الى الامام الشافعى فأجرى فيها ماء النيل الى الميضأة والأخلية وابطل منها استعمال الماء المالح وكان سبب ذلك أنه لما قتل ابنه اسماعيل بيك بالسودان ونقله الى مصر بنى له قبرقرب الامام وبنى حوله أبنية وأجرى الماء اليها فكلمه الشيخ حسن القويسنى أن يوصلها الى مطهرة الامام ففعل واستمر استعمالها الى عام تسع وثمانين فأجرى ديوان الأوقاف عمارة فى الميضأة والأخلية وجدد ماسورة تحت الأرض متصلة بماسورة وابور الماء الذى عمل لسقى مصر والقاهرة وصارت هى الموصلة الماء الى الامام وما حوله من العمائر

وكان أهل تلك الجهة قبل ذلك يشربون من ماء النيل بعجراة سواقى بركة الجيش ولما انشئت الماسورة جعلت هناك حنفية لبيع الماء على السكان على جرى عادة الحنفيات فالتزم سعادة الأمير رياض باشا أن يشتريها من ماله كل سنة من الملتزمين باثنين وسبعين جنيها مصريا ويطلقها للناس احسانا منه وذلك من ابتداء سنة اثنين وتسعين فينقل منها الآن جيرة الامام الليث وسيدى عقبة والسادات الوفائية وغيرهم مجانا جزاه الله خيرا .

وفى عام ثلاث وثلثمائة والف نشعت بعض جدران المسجد فتعلقت ارادة عزيز مصر الأكرم افندينا المفخم محمد توفيق باشا بتجديده وتوسيعه لضيقه بالناس التى كانت تجتمع فيه أيام المواسم كالاعياد وغيرها .

فصدر أمره الكريم بذلك وكان الناظر على ديوان الأوقاف وقتئذ الأمير الكبير محمد زكى باشا فانتهض لهذا الأمر انتهاضا حسنا واشترى

الأماكن المجاورة للمسجد من جهة الطرقة المبلطة التى كانت بها أبواب المسجد مع البيوت التى عن يسار السالك من هذه الطرقة ذاهبا جهة الإمام الليث رضى الله عنه وكذا الأماكن المتصلة بالميضأة من الجهة البحرية وأدخل بعضها مع بعض الطرقة فى المسجد وترك الباقى متسعا قدامه وشرع فى هدم المسجد القديم فى جمادى الآخرة من هذا العام .

وأبتدأ حفر الأساس من الجهة المجاورة لمقام شيخ الاسلام زكريا الأنصارى رضى الله عنه وكان يوم وضع الأساس يوما مشهودا لحضور لذلك جناب الخديوى المعظم مع أعيان دولته وأمرائها وحضرة المشير الجليل دولة الغازى أحمد مختار باشا وحضرات العلماء الكرام والفضلاء الفخام وأعيان مصر وأكابرها فاجتمعوا فى موضع المسجد القديم فى مجلس جليل حافل وزى جميل وشكل حسن وتليت فى هذا المجلس مقالة تتضمن الثناء على حضرة خديوى مصر وأعيان دولته وسبب تجديد المسجد وأن الآمر بذلك حضرة الخديوى مع نسبه الشريف وتليت مع ذلك قصائد جليلة لبعض أدباء هذا العصر تتضمن ذلك وكتب مضمون ذلك كله فى رق متين ووضع مع صرة من النقود فى اناء يسمى مترابانا من البلور ووضع ذلك المترابان فى صندوق من الرصاص على قدره ووضع ذلك الصندوق فى حجر كبير محفور بقدر الصندوق مغطى بحجر آخر ووضع ذلك الحجر فى أساس البناء بازاء شيخ الاسلام .

وهو أول موضوع فى الأساس والواضع للصندوق الرصاص فى الحجر بيده حضرة الخديوى اعتناء بهذا المسجد الجليل ومحبة فى هذا الإمام العظيم وخدمة له رضى الله عنه ونفعنا به وكان ذلك يوم الثلاثاء سابع شعبان آخر مولد سيدنا الإمام رضى الله عنه فى هذا العام وجعل المسجد مربعا تربيعا حسنا .

وحول تربيعه عن الوضع الأول حتى صار المحراب فى وسط الجدار بعد أن كان فى زاوية المسجد الجنوبية الشرقية والراسم لمحرابه العالم الميقاتى

الشهير الغازى أحمد مختار باشا وجعل طوله ثلاثين مترا وعرضه كذلك وجعلت له رحبة بين المسجد وبين المطهرة طولها ثلاثون مترا فى عرض ثمانية أمتار ورسم له حنفية فى بيت مستقل وميضأة واسعة فى مكان متسع وبيوت أخلية فى مكان متسع أيضا منعزل عن الميضأة خلفها وهو الآن جار فيها العمل بالاجتهاد والهمة التامة نسأل الله تعالى إتمامه على أحسن حال وأن ينفعنا بهذا الإمام الجليل رضى الله عنه .

وأما المشهد الشريف والضريح المنيف فهو من أشهر مزارات قرافة مصر كما فى خطط المقريزى قال توفى الشافعى رضى الله عنه بفسطاط مصر وحمل على الأعناق حتى دفن فى مقبرة بنى زهره أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وعرفت أيضا بتربة أولاد ابن عبد الحكم .

قال القضاعى وقد جرب الناس خير هذه التربة المباركة والقبر المبارك ثم قال ولم يزل قبر الشافعى يزار ويتبرك به إلى أن كان يوم الأحد لسبع خلت من جمادى الأول سنة ثمان وستمائة فانتهى بناء هذه القبة التى على ضريحه وقد أنشأ هذه القبة المباركة الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ظهير أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصرية وأخرجت فى وقت بنائها عظام كثيرة من مقابر فكانت هناك ودفنت فى موضع من القرافة وبهذه القبة أيضا قبر السلطان عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب وقبر أمه شمسه انتهى .

وفى بدائع الزهور أن الملك الكامل لما توفيت أمه دفنها عند الإمام الشافعى ثم شرع فى بناء القبة التى على ضريح الإمام ولم تعمر فى الدنيا قبه مثلها وأنشأ بها خلاوى برسم الصوفية وحماما وبنى مجراه تتصل من بركة الجيش فى أيام النيل بسواق إلى تربة الإمام وهى باقية إلى الآن .

وأنشأ هناك الحوض الذى على الطريق السالكة فكان كما قيل فيها وفى السيفنة التى على القبة .

من الكوثر الأعين الجارية
لها قبة تحتها سيد
وبحر لها فوقه جارية
لها الذى يلتجى يسعد

انتهى وكانت السواقى ثلاثة احداها فى الجبل عند مزرعة تعرف بحوض عفصة وتعرف الى الآن بساقية أم السلطان وكان الماء ينقل اليها بواسطة مجراه من الحجر من ساقية مبنية بالحجر تعرف بالنقالة وينقل الى هذه أيضا من ساقية بدير الطين مبنية على حرف النيل و بين ساقية أم السلطان والامام الشافعى مجراه باقية الى الآن على عيون من الحجر كعيون مجراة القلعة وعليها أسبلة توصل الى سيدى عقبة والامام الليث والى الساقية الخازانة بالامام الشافعى وقد استغنى عنها الآن بالماسورة المارة الذكر .

وفى الجبرتى أن على بيك الكبير جدد هذه القبة وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل وقد كشفت فجدد ما تحته من الخشب البالى بالخشب النقى الجديد ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازوردوا والأصباغ وكتب بافريزها تاريخا منظوما انتهى .

وهى قبة شاهقة متسعة مصفح ظاهرها بالرصاص وقبل الدخول من بابها مكتوب بجوار باب السبيل فى قطعة رخام هيئة طرة هذا البيت ه

هذه جنات عدن فادخلوها خالدين

وباب القبة من الرخام عليه باب ضفتان من الخشب المصفح بالفضه وباعلاه فى لوح من الرخام هذان البيتان .

ان رمت فضل الشافعى في مسند قد صح قدما
هو من قريش عالم يملأ طباق الأرض علما

ومن داخل الباب باب آخر وعلى البرزخ الشريف مقصورة مربعة من الخشب المرصع والصدف والعاج وفى كل زاوية من زواياها ثلاث صفائح من الفضة وضفة باب المقصورة مصفحة بالفضة ولها قفيز من الفضة وبأعلى بابها أبيات مكتوبة بالصدف :

إن الامام الشافعى محمداً
سلطان مصر له أجل علوم
ناهيك فى ورد الحديث بفضله
العالم القريشى فى الاسلام
بالعلم قد ملأ الطباق فأرخت

لمحمد	للناس	خير	امام
١٢٢	١٧١	٨١٠	٨٢

سنة ١١٨٥

وبأعلى ذلك طرة فيها بعض أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم وحولها خمس دوائر فيها لفظ الجلالة وأسماء الخلفاء الأربعة وفى سقف المقصورة مركب صغيرة من الفضة معلقة فوق البرزخ وبجانبها عمود من الرخام منقوش فيه بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى .

هذا قبر الامام السيد أبى عبد الله محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم ولد رضى الله عنه سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن فى

يومه بعد العصر رضى الله عنه وأرضاه آمين ويكتنف هذا العمود شمعدانان كبيران من الفضة موضوعان على تختة من الخشب وحواليها قناديل من البلور الأبيض والأزرق وأسفل القبة مكسو فى دائرها بالرخام الملون فى ارتفاع مترين وأربعة أخماس متر وبأعلى ذلك كرنيش من خشب عرضه نحو نصف متر وبأعلى ذلك براوز من خشب منقوش فيه قصيدة بالليقة الذهبية وكرنيش عليه كتابة كوفية ازار فيه سورة الفتح بالليقة الذهبية أيضا .

وفى أركانها أربع كوش من البناء عليها سورة يس بماء الذهب وبين كل كرشتين خمسة شبابيك مصنوعه بالجبس والزجاج الملون وبأعلى ذلك كرنيش وفى دائرها آيات قرآنية بماء الذهب .

وفيه أمر بتجديد هذه القبة المباركة على التخصيص وتشييد أفنان وصنعها بفنون النقش والترصيص عزيز مصر الحاكم بأمر الله أيد الله بالنصر لواه وبلغه قصده ورجاه أنه الملك اللطيف ببركة صاحب هذا المقام الشريف .

وبأعلى ذلك ستة عشر شباكا وفوق ذلك نقشا قديما بماء الذهب وفى أعلى القبة فى دائره مركزها مكتوب بماء الذهب الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفى الجهة الغربية من القبة لوح فيه بخط السلطان عبد المجيد حديث عالم قريش يملأ طباق الأرض علما وفى الحائط البحرية رخامة مكتوب فيها أمر بتجديد هذه القبة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره وتكملة هذا فى الحائط الغربية وكان الفراغ من ذلك فى شهر جماد الآخر سنة خمسة وثمانين وثثمائة وبداخلها ثلاث محاريب من الرخام الملون وبلصق المقصورة مقصورتان من الخشب بالصبغ الأخضر فى احداها قبور أولاد عبد الحكيم وسنذكر تراجمهم وهناك مقصير أخر باحداها قبر الملكة شمسة والدة السلطان الملك الكامل الايوبى وفى أخرى قبر السلطان عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وبأعلى القبة عدة أشعار مذكورة فى المقريزى وغيره منها قول الكاتب بن ملهم .

مررت على قبة الشافعى
فعاين طرفى عليها المشاورى
فقلت لصاحبى لا تعجب
فان المراكب فوق البحار
وقال البوصيرى صاحب البرده
بقبة قبر الشافعى سفينة
رست فى بناء محكم فوق جلمود .
ومذ غاض طوفان العلوم بقبره
استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

وفى رحلة النابلسى قال خرجنا لزيارة الإمام الشافعى رضى الله عنه فدخلنا الى قبته المبنية على قبره فوجدناها قبة واحدة كبيرة متسعة جدا لا يرى مثلها فى البنيان ومتانة الجدران و لارتفاع وفى داخلها محراب عظيم وقبر الإمام الشافعى فى الجهة الشمالية وفيه شباك يطل على القبور فى القرافة وقال المناوى فى طبقاته ورأينا على قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه من جهة الخارج سفينة يوضع فيها الحب للطيور .

نبوغ الامام الشافعى (رضى الله عنه)

وأنه علم من أعلام الاسلام

نرجع ثانيا الى ما وهب الله لى هذا الإمام العظيم من مواهب لدنيه وعلوم انفرد بها عن سائر طبقات الأئمة ولا غرو فهو الذى أفاض على سكان الكرة الأرضية نورا بفضل مذهبه ودقة استنتاجه ومحافظته على رأى السلف ممن أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا هديه وانتفعوا

بنوره فجزاهم الله خيرا عن الاسلام والمسلمين ولنذكر بعض علم الشافعى . فقد شهر بالتبحر فى الطب والنجوم والفراسة قال الرازى فى مناقبه عن الامام الشافعى .

« الفصل الأول فى معرفته بالطب »

كان يقول العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان ثم تارة يقول علم الأبدان هو الطب وعلم الأديان هو الفقه ، وأخرى يقول علم الأبدان هو الفقه لأنه يحث على التكاليف المتوجهة على الأعضاء والجوارح وعلم الأديان هو علم الباطن وهو معرفة الله تعالى وكيفية الدواعى والصوارف والنيات فى الأعمال وكان يقول لا تسكن بلدة لا يكون فيها عالم يخبرك عن دينك وطبيب يخبرك عن أمر بدنك وكان يتلهف على إعراض المسلمين عن علم الطب ويقول ما أفلح سمين إلا محمدا بن الحسن وذلك لأن العاقل لابد أن يهتم أما لمعاده أو لمعاشه وشدة الاهتمام مما يلقاه من السمن وحكى أنه كان فى الزمان القديم ملك شديد السمن فذكر لبعض الأذكياء من الأطباء ذلك وطلب منه دواء يقلل السمن فقال أصلح الله الأمير أنا رجل طبيب ومنجم ولقد نظرت فى طالعك فرأيت أنه لم يبق من عمرك إلا شهراً ولا فائدة فى هذا العلاج قال فحبسه الملك ليعرف أنه صدق فيما قال أو كذب واحتجب الملك عن الناس واستولى عليه الحزن والفكر فقل سمنه فلما انتهت المدة خرج الملك وأحضر الطبيب وقال لقد ظهر كذبك وأنا أعذبك على هذا الكذب فقال الطبيب : أصلح الله الأمير أنا أهون على الله عز وجل من أن أعلم الغيب ولكن ما عرفت لتقليل ذلك السمن علاجا غير الهم والحزن ولهذا السبب قلت ماقلت فاجازه الملك وأحسن اليه .

وانما ذكر الشافعى رضى الله عنه هذه الحكاية تبينها على أن الاشتغال

بعلم الدنيا والدين مما يوجب نحافة البدن وذبولا فيه وأعلم أن من العلماء من استدل بهذه النكتة على بقاء النفس ومغايرته للبدن فقال الاهتمام بمصالح الدين وكثرة الفكر فى دلائل التوحيد مما يوجب استيلاء النفس على البدن واستيلاء النفس على البدن بسبب حصول الموت والفكر الدائم يوجب كمال النفس وحياتها ويوجب موت البدن وذبوله ولو كانت النفس هى البدن لكانت الفكرة سببا لكمال الشىء الواحد ونقصانه وحياته وموته معا وذلك محال فدل هذا على أن النفس غير البدن والله أعلم .

« الفصل الثانى فى معرفته بالنجوم »

روى أنه كان فى زمان الحداثة ينظر فى النجوم فجلس يوما وأمرأة كانت فى الطلق فنظر فى الطالع فقال تلد جارية عوراء عن فرجها خال اسود وتموت إلى كذا فكان كما قال فجعل على نفسه أن لا ينظر فى النجوم أبدا ودفن الكتب التى كانت عنده من النجوم .

« الفصل الثالث فى معرفته بالفراسة »

قال الحميدى خرجت أنا والشافعى من مكة فلقينا رجلا فقال هذا نجار وخياط فسألت الرجل فقال كنت اليوم نجارا وأنا اليوم خياط وكان يقول احذر الأعرج والأحول والأعور وكل من به عاهة فى بدنه ونقصان فى خلقته فإن معاملته عسرة شاقة وأعلم أن هذا الذى ذكره أمر عظيم فى علم الفراسة وذلك لأن حاصل هذا العلم يرجع الى الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن ووجه الاستدلال به لأن الأحوال الدينية تابعة لكيفية المزاج والأخلاق الباطنة والصور الظاهرة كلاهما معلولان لعلة واحدة وهى المزاج فنقصان الظاهر يدل على نقصان المزاج ونقصان المزاج يوجب نقصان

الباطن فظهر أن الذى قاله الشافعى أصل معتبر فى هذا العلم

وحكى أنه خرج إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة قال فكتبتها وجمعتها ولما كان زمان انصرافى مررت فى طريقى برجل واقف فى فناء داره أزرق العينين ناتى الجبهة فقلت هل من منزل قال نعم قال الشافعى وهذا أخبث ما يكون فى الفراسة فانزلنى فما رأيت أكرم رجل منه بعث إلى بعشاء طيب وعلف دابتى وفراش ولحاف فقلت علم الفراسة دل على غاية دناءة هذا الرجل وأنا لم أشاهد منه إلا الخير فهذا العلم باطل وعزمت على غسل تلك الأجزاء فلما أصبحت قلت للغلام اسرج الدابة فلما أردت الخروج قلت له إذا قدمت مكة ومررت بذى طوى فاسئل عن منزل محمد بن أدريس فقال الرجل أمولى أبيك أنا قلت لا قال هل كانت لك على نعمة ووديعة قلت لا قال فاين ثمن الذى تكلفت لك البارحة قلت وما هو قال اشتريت لك بدرهمين طعاما واداما بكذا وعطرا بكذا وعلف دابتك بكذا والفراش بكذا واللحاف بكذا قلت ياغلام اعطه فهل بقى شىء قال كراء المنزل فانى وسعت عليك وضيقت على نفسى قال الشافعى رضى الله عنه فعظم اعتقادى فى تلك الكتب وتيقنت أن هذا العلم حق قال الربيع كنت مع الشافعى رضى الله عنه فى الجامع إذ دخل رجل يدور بين النوام قال الشافعى قم قل له ذهب عبدك عبد أسود مصاب باحدى عينيه قال الربيع فقمت اليه وقلت له ذلك فقال الأمر كما تقول ثم جاء الى الشافعى وسأله عنه فقال له مر فانه فى الحبش فمر الرجل وطلبه فى الحبش فاذا هو فيهم قال المزنى فقلت له اخبرنا فقد خبرتنا قال نعم رأيت رجلا دخل المسجد يدور بين النوام فقلت يطلب هاربا أسود ورأيته يجرى الى النوام السودان فقلت عبد أسود رأيته يجىء الى مثل العين اليسرى فقلت مصاب فى إحدى عينيه فقلت فالحبش كيف علمته فقال ناولت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا خير فى الحبش اذ جاعوا سرقوا واذا شبعوا شردوا وزنوا .

وقال الربيع دخلنا على الشافعى أنا والبويطى ومحمد بن عبد الله الحكم والمزنى قال فنظر الشافعى الينا ساعة ثم قال للبويطى أما أنت يا أبا يعقوب فستموت فى حديدك وأما أنت يامزنى فستدرك زمانا تكون أقيس أهل ذلك الزمان أما أنت يا محمد فسترجع الى مذهب أبيك أى مذهب مالك وأما أنت ياربيع فانفع لى فى نشر كتبى قال الربيع فكان الأمر كذلك وعن حرملة بن يحيى أنه كان يقول احذر الأحول والأشقر والكوسج والأعور والأعرج والأحدب وكل ذى عاهة فان فيه التواء وما أتانى خير من أشقر قط وقال ليس يقتلنى إلا الأشقر وقال حرملة ما وقع فى الموت خرجنا من عندهم فقلت لأبى كل فراسة للشافعى وجدناها الا هوله يقتلنى اشقروها هو فى السباق فرأينا عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن محمد فقلنا الى أين فقالا الى الشافعى فما بلغنا المنزل حتى ادركنا الصوائح قلنا مالكم قالوا مات الشافعى رحمه الله فقال من غمصه قالوا يوسف بن عمر وكان أزرق العينين والله أعلم .

قال الفخر الرازى فى شرح خصاله الحميدة وصفاته الكريمة فمنها انصافه .

روى عن اسحق الحنظلى انه قال ذاكرت الشافعى فقال لو كنت احفظ كما تحفظ لغلبت أهل الدنيا قال الإمام الداعى الى الله والفهم الى الحفظ والحكماء يقولون انهما لا يجتمعان على سبيل الكمال لأن الفهم يستدعى مزيد رطوبة فى الدماغ والحفظ يستدعى مزيد يبوسة والجمع بينهما محال وعن أحمد بن حنبل قال لنا الشافعى أنتم أعلم بالحديث منى فاذا صح عندكم الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فقولوا لنا حتى نأخذ به .

قال الإمام ومما يدل على كمال انصافه توقفه فى المسائل التى لم يظهر له فيها حجة مرجحة لولا انصافه والا فمن الذى كان يكلفه بالاعتراف فى التوقف .

ومن المشهور عنه قوله مانظرت ذافن الاوغلبنى ومانظرت ذافنين إلا غلبته .

ومنها زهده واجتهاده فى الطاعات قال الربيع كان الشافعى قد جعل الليل ثلاثة أثلاث فى الأول يكتب وفى الثانى ينام وفى الثالث يصلى .

قال حسين الكرابيسى بت مع الشافعى رضى الله عنه ثمانين ليلة وكان يصلى نحو ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة وكان لايمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه وللمؤمنين أجمعين .

ولايمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منها وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين وكان جمع فيه الخوف والرجا معا .

وقال الحميدى كان الشافعى رضى الله عنه يختم كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ فى الصلاة ولما أشتد مرضه نقبوا السرير وجعلوا تحته طستين .

فقال يوما اللهم ان كان لك فيه رضا فزد فبعث اليه ادريس بن يحيى المعارفى وكان من الزهاد فقال لست من رجال البلاء فاسأل الله عز وجل العافية .

وعن الحارث بن مسكين انه قال ما زال فى نفسى شىء من الشافعى حتى بلغنى انه سئل عن الكفائة فقال الكفائة فى الدين لا فى الحسب فعلمت انه لم يصل إلى تلك الدرجة إلا ببركة الدين .

قال البيهقى وانما أراد به الكفاءة التى ينفسخ بسبب عدمها النكاح وهو اسلام الزوج . وأما عدم الكفاءة فى النسب فان المرأة والولى اذا رضيا به صح النكاح . وقال ما كذبت وما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا وما شبعت منذ عشرين سنة قال البيهقى وذلك لأن الشبع يورث القسوة ويقل الفهم .

وكان لا يتطيب فى موضع النكهة بالمورد لأنه يشبه المسكر .

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم جلسنا يوما نتذاكر الزهاد والعباد حتى ذكرنا ذا النون فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا عمرو بن نباتة فسألنا

عما كنا فيه حتى ذكرنا ذا النون فقال والله ما رأيت رجلا افصح ولا أورع من محمد بن أدريس خرجت أنا وهو والحارث بن بشر إلى الصفا فافتتح الحارث وكان غلاما لصاحب المزنى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فرأيت الشافعى رضى الله عنه قد اضطرب وبكى بكاء شديدا ثم قال الهى أعوذ بك من مقال الكذابين وأعراض الغافلين الهى خضعت لك رقاب العارفين والمت لك قلوب المشتاقين الهى هب لى جودك وجللى بسترك واعف عنى بكرم وجهك يا أرحم الراحمين .

وقال ثم خرجت اليه وهو بالعراق لأسمع منه شيئا فبينما أنا قاعد على الشط أتهيأ للوضوء إذ مر بى رجل فقال ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك فقفوت أثره فقال اعلم ان من صدق الله نجى ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عينه فيما يرى من ثواب الله غدا ثم قال كن فى الدنيا صادقا وفى الآخرة راغبا واصدق الله فى جميع امورك تنج بها مع الناجين غدا فسألت عنه فقيل هو محمد بن أدريس .

ومات واحد فقال اللهم بغناك عنه وفقره اليك فارحمه وسئل الشافعى عن رجل أوصى لا عقل الناس فقال تلك الوصية لا زهد الناس فانه لا عقل لمن يحب ما أبغضه الله تعالى ومنها سخاوته قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون .

قال الحميدى قدم الشافعى من صنعاء الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباء خارجا من مكة فكان الناس يأتونه ويعطيهم فما برح حتى فنى الذهب .

وقال الربيع كان الشافعى رضى الله عنه راكب حمار فمر فى سوق الحدادين فسقط سوطه من يده فوثب غلام منهم وأخذ السوط فمسحه بكمه وناوله اياه فقال الشافعى يا غلام ادفع الدنانير التى معك اليه قال الربيع وكانت تسعة أو أكثر .

وقال محمد بن عبد الحكم جاء الشافعي رضى الله عنه إلى منزلنا فقال لى اركب دابتى هذه فركبتها فقال لى أقبل بها وأدبر ففعلت فقال انى أراك عليها ليقا فخذها وهى لك .

وكان يقول الكريم يعطى الدنيا والآخرة .

وحكى الربيع عن الشافعى قال جاء العيد وما عندى نفقة فقال لى أهلى عودت قومك ان تصلهم فلو استلفت شيئا فاستلفت سبعين دينارا فتركت عشرين دينارا وفرقت الباقى فبينما أنا كذلك اذ أتانى رجل من قريش يسأل الحاجة فاخبرته بخبرى وقدمت اليه العشرين وقلت خذ ماتحب فقال ماينفعنى الا أكثر من ذلك فقلت خذها وبت وما معى دينار ولا درهم فبينما أنا فى منزلى إذ أتانى رجل من قريش وهو رسول جعفر بن يحيى البرمكى فقال أجب فاجبته فقال ما شأنك فى هذه الليلة فانى كلما نمت هتف بى هاتف يقول الشافعى الشافعى فاخبرنى عن حالك فاخبرته فاعطانى خمسمائه دينار ثم قال ازيدك وأعطانى خمسمائة دينار أخرى ثم لم يزل يزيدنى حتى أعطانى الف دينار .

وحكى الشافعى رحمه الله انه وقف اعرابى على باب عبد الملك بن مروان فقال يرحمك الله قد مرت بنا ثلاث سنين اما الأولى فاهلكت المواشى واما الثانية فانضت اللحم واما الثالثة فوصلت الى العظم وعندك مال فان يك لله فاعط عباد الله وان يك لك فتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وقال لو أن الناس يحسنون يسألون هكذا ما حرمنا احدا ومنها شدة رغبته فى طلب العلم .

قال الربيع سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول سمعت بن عيينة يقول لم يعط أحد فى الدنيا شيئا أفضل من النبوة ولم يعط بعد النبوه أفضل من العلم والفقه ولم يعط فى الآخرة أفضل من الرحمة .

وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم وقال ما أفلح فى العلم الا من طلبه فى القلة ولقد كنت أطلب ثمن القراطيس فيعسر على وقال لا يطلب أحد العلم مع المال وعز النفس فيفلح ولكن من طلبه بذله وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح .

وقال لا يصلح للرجل طلب العلم حتى يكون له قميص بلا سراويل وسراويل بلا قميص .

وقال طالب العلم لا بد له من طول العمر ومن الزكاة ومن سعة المال والمراد بهذا قدر الحاجة وبما تقدم ذكره لا الزيادة لئلا يتناقض الكلامان .

وقال مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لا يدرى .

وقيل له كيف رغبتك فى العلم قال اسمع بالحرف الذى لم أسمعه فتود أعضائى ان لكل واحد منها سمعا يتنعم بسماعى لتلك الكلمة .

قيل فكيف حرصك عليه قال حرص الجموع المنوع على المال .

قيل وكيف طلبك له قال طلب المرأة التى ضل ولدها وليس لها غيره .

وقال من لا يحب العلم فلا خير فيه ولا ينبغى أن يكون بينك وبينه معرفة .

وحكى الشافعى أن سفيان بن عيينة ساء خلقه فقيل له يا أبا محمد أتاك قوم من أقطار الأرض فتؤذيهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك فقال اذا هم حمقى مثلك ان يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقى ومنها شدة رغبته فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى أنه لما دخل مصر سأله بعض الأكابر ان ينزل عنده فقال أريد أن أنزل عند اخوانى من الأزد قال البيهقى انما فعل ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم نزل عند اخوانه من بنى النجار .

وكان يقول كل حديث صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أقول به وان لم يبلغنى وقال الربيع سمعت الشافعى يقول اذا وجدتم سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولى فخذوا بالسنة ودعوا قولى فانى أقول بها.

وعن الربيع أن الشافعى رضى الله عنه ذكر كلاما ثم روى حديثا وقال بعض الحاضرين نأخذ بالحديث فقال الشافعى وهل ترى على زناراً أشهد وانه اذا صح الحديث عندى ولم آخذ به فان عقلى قد ذهب.

ومنها انصافه فى المناظرات كان يقول ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ وقال ما ناظرت قط أحداً على الغلبة ووددت أن جميع الخلق يعلمون كتبى ولا ينسبون الى منها حرفاً قال هذا الكلام يوم الأحد ومات يوم الخميس.

وروى أن المزنى ناظره فى رجل كثير الصياح كثير الشغب فقال للمزنى أخبرنى الشافعى رضى الله عنه أن أبا حنيفة ناظر رجلا وكثر صياح أبى حنيفة فمر به رجل وقال أخطأت يا أبا حنيفة قال أبو حنيفة ما هذه المسألة فقال الرجل لا أدرى فقال أبو حنيفة كيف عرفت أنى أخطأت فقال الرجل لأنك إذا أخطأت صحت وإذا أصبت رفقت فعلمت أنك أخطأت حيث رأيتك تصيح.

قال محمد بن الحكم كنت اذا رأيت من يناظر الشافعى رحمه وقال أيضا لو رأيت الشافعى فى المناظرة لقلت أسد يريد أن يفترسنى وقال ما كلمت أحداً قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان وما كلمت أحداً قط الا ولم أبال بين الله الحق على لسانى أو لسانه.

وقال حرملة كان الشافعى رضى الله عنه يقول اذا ذكرت لكم دليلا فلم تقبلها عقولكم فلا تقبلوها فان العقل مضطر الى قبول الحق.

وروى الربيع أن الشافعى رضى الله عنه كتب هذه الأبيات الى أبى يعقوب البويطى حثا على الانصاف والانتصاف فى المناظرة يقول.

إذا ما كنت ذا علم وفضل بما اختلف الأوائل والأواخر

فناظر من تناظر فى سكون حليما لا تلج ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان من النكت اللطيفة والنوادر
واياك اللجوج ومن يرانى بانى قد غلبت ومن يفاخر
فان الشر فى جنبات هذا فيز بالتقاطع والتدابر

ومنها شدة احتياطه قال الشافعى رضى الله عنه أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار أن يزوج رجل ابنته على أن يزوجه ذاك ابنته وليس بينهما صداق .

قال الشافعى لا أدرى تفسير الشغار فى الحديث أهو من ابن عمر أم من نافع أو من مالك وهذا التردد يدل على غاية الاحتياط فى الروايات ومنها فصاحته كان الربيع يقول لو رأيتم الشافعى وحسن بيانه وفصاحته لتعجبتم إلا أنه كان يجتهد فى تصنيفاته فى الايضاح ويقرب المعانى الى الافهام فكان يترك الفصاحة .

وقال قتيبة بن سعيد البغدادى رأيت الشافعى رضى الله عنه يناظر محمد ابن الحسن فكان محمد فى يده كالكرة يديرها كيف شاء ومنها هيبته ووقاره .

قال الربيع لبعضهم لو رأيت الشافعى لاستحييت من هيبته وجلالته ومنها كثرة علومه .

قال الربيع كان الشافعى رضى الله عنه يجلس فى حلقته اذا صلى الصبح فيجيئه أهل العراق فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه فى تفسيره ومعانيه فاذا ارتفعت الشمس قاموا وحضر قوم المناظرة ثم يجىء أهل العربية والعروض والشعر والنحو ولا يزالون الى قرب انتصاف النهار ثم كان ينصرف الى بيته :

تم بحول الله تاريخ الامام الشافعى بقلمه وما كتبه عن نفسه ولقد وجد بعض أخطاء مطبعية لا تخفى على فطنة القارىء والحمد لله أولا وآخرا .